وسطية الإسلام

على منابر الإعلام

د. سناء محمدي عامر

دكتوراه الفلسفة في الإعلام وثقافة الطفل

إضافة

إن قضية الإسلام اليوم تنحصر في انحسار مفهوم المسلمين أنفسهم للإسلام وقصورهم في تعاملهم مع الإسلام الذي أصبح في نظر بعضهم إسلامًا نوعيًا أو جزئيًا أو مذهبيًا أو نظريًا أو مظهريًا أو وسيلة من وسائل العيش، أما البعض الآخر ففهمهم وتعاملهم مع الإسلام كدين هو فهم عفوي وتعامل سطحي، ودوره في حياتهم هامشي ولا علاقة له بأسلوب حياتهم ومنهج السلوك الاجتماعي.

ومن نتائج قصور المسلمين في فهم عمق وقوة هذا الدين وجود جماعات سياسية اتخذت من الدين وسيلة للخداع السياسي وكسب التأييد الشعبي وتحقيق مآرب شخصية ومطامع دنيوية، وهم في الحقيقة لا يعكسون الصورة الحقيقية للإسلام من احتوائه لكل فئات المجتمع والمساواة بين الجميع وتحقيق العدل ومبدأ تكافؤ الفرص، فالإسلام دين متكامل بعيد عن التصورات الجزئية والمذهبية، فلا يظن إنسان أنه سيحقق كل جزء في هذا الدين وسيقدر على كل جوانبه معًا، إنما علينا الاجتهاد في الإيمان والعمل، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

د. سناء محمدي عامر

ليسانس آداب قسم إعلام شعبة إذاعة وتلفزيون ٢٠٠٨

ماجستير في إعلام وثقافة الأطفال؛ جامعة عين شمس ٢٠١٣

دبلوم الدراسات العليا في التربية؛ جامعة المنوفية ٢٠١٥

دكتوراه الفلسفة في الإعلام وثقافة الطفل؛ جامعة عين شمس ٢٠١٨

9 789778 578898

إضافة

للنشر والتوزيع

www.idafabooks.com

وسطية الإسلام

على منابر الإعلام

وسطية الإسلام على منابر الإعلام

سناء محمدي عامر
الطبعة الأولى : ٢٠٢٠
رقم الإيداع : ٢٠٩٧٧ / ٢٠٢٠
ISBN 978 -977-85788 -9 -8
٢١٦ ص ، ٢٠ سم

دار إضافة
للنشر والتوزيع

الإسكندرية
ج . م . ع
{جميع الحقوق محفوظة ©}

المراجعة اللغوية: عادل أبو الأنوار
غلاف وإخراج فني: أمير مصطفى

وسطية الإسلام

على منابر الإعلام

سناء محمدي عامر

دكتوراه الفلسفة في الإعلام وثقافة الطفل

إضافة
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى أغلى الناس في حياتي وسبب نجاحي..

أبي وأمي مصدر الحنان والآمان والرعاية والحب.
لا أجد كلاما يوفي حقكما علي.
أحبكم وأهدي لكما هذا المجهود المتواضع وأرجوا الله سبحانه وتعالى أن يكون بمثابة صدقة جارية لكما.

إخوتي وعائلتي..
أنا مدينة لكم بكل ما قدمتوه لي من دعم وثقة وحب.
زوجي رفيق حياتي..
لك مني كل الحب والتقدير والدعاء لك بالتوفيق والسعادة.

وإلى بناتي نبض قلبي.

لأجلكم أجمعين..
أحلم وبكم أسعد وأحيا حفظكم الله جميعًا.

د.سناء محمدي عامر

مقدمة

عزيزي القارئ، أنا مثلك تمامًا لا أحدثك من فوق منبر الخطابة، ولكني أسعى للفهم والقراءة والتفكير للحصول على الفهم الصحيح لديني.. أبحث عن الطريق الصحيح بين التطرف والتشدد الذي لن تطيقه النفس البشرية بكل ضعفها، وبين الإلحاد الذي ينكر وجود الدين بل ووجد إله من الأصل.. فكيف لإنسان أن لا يطلب العون من خالقه العالم بكل خلجاته.. العالم بقدراته.

هذه الأيام نجد أن الإعلام قد اعتلى منابر الدعوات إلى النقيضين؛ التطرف والإلحاد.. الأولى بدعوى التدين والثانية بدعوى التحرر.. هل الدين يدعو للسمع والطاعة دون إعمال العقل وتعلق القلب؟ هل الدين لا يدعو إلى التفكر في خلق الله ومعرفة الخالق بالنظر والتمعن في خلقه؟

لو كانت الأولى لما انتهت كثير من آيات القرآن الكريم بقوله تعالى: أفلا يتفكرون.. أفلا يتدبرون.. أفلا يعقلون.

ولو كانت الثانية لما قال الله سبحانه:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾

أي أن العلماء كلما درسوا وتفكروا وفهموا يكونون أكثر خشية من غيرهم لله سبحانه، وليس المقصود هنا علماء الدين فقط، فكم من عالم في أوروبا وأمريكا أعلن إسلامه بسبب اكتشاف علمي وجده مذكورًا في القرآن الكريم والسّنّة النبوية منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.

عزيزي القارئ، أقدّم لك هذا الكتاب خلاصة لما قرأته ودرسته وفهمته عن وسطية الإسلام.. وأرجو الله سبحانه أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا.. وأن يكون هذا الكتاب خطوة لك ولي للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.

المؤلفة

الفصل الأول

(ماهية وسطية الإسلام)

- تمهيد
- مفهوم وسطية الإسلام في (اللغة – الإعلام – علم النفس).
- مظاهر وسطية الإسلام.
- الوسطية أحد خصائص التشريع الإسلامي.
- أبعاد وسطية الإسلام (الأبعاد الشكلية- وبعد المضمون).
- بعض القضايا التي تظهر فيها وسطية الإسلام.

تمهيد

يتضح لنا أن أزمة العرب والمسلمين مع الآخر ليست - من وجهة نظري- صورتهم لدى الآخرين وإنما صورتهم لدى أنفسهم، نعم، فكيف لإنسان ليس لديه فهم عميق لدينه وأفكاره ألا يقع فريسة للمنحرفين عن الاعتدال سواء بالإفراط أو بالتفريط؟

فكيف لإنسان ليست لديه ثقافة فكرية ودينية أن يكون قوي العزيمة والحجة وألا يصدق دعوات المشككين والمتشددين والمنحلين؟

لكن ما يزيد من الأمر سوءًا أن من يفتري على الإسلام ليس أعداءه فحسب، ولكن بعض أتباعه ضعاف الفهم للدين والإيمان، فقد خلط هؤلاء وهؤلاء بين الدين الإسلامي كعقيدة وأساس لحياة سوية للبشرية كافة وبين أتباع هذا الدين وما يتسمون به الآن من ضعف وجهل وخزي وفرقة وتكاسل، لقد زعم أعداء هذا الدين أن ضعف المسلمين نتيجة لضعف دينهم، متغافلين عما كان للمسلمين من قوةٍ ومجدٍ وحضارة وسلطان وقت تمسكهم بدينهم واعتزازهم بتعاليمه[1].

---

١) أحمد محمد الحوفي، سماحة الإسلام، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام، ٢٠٠١) ص٣_٥.

إن قضية الإسلام اليوم تنحصر في انحسار مفهوم المسلمين أنفسهم للإسلام وقصورهم في تعاملهم مع الإسلام الذي أصبح في نظر بعضهم إسلامًا نوعيًا أو جزئيًا أو مذهبيًا أو نظريًا أو مظهريًا أو وسيلة من وسائل العيش، أما البعض الآخر ففهمهم وتعاملهم مع الإسلام كدين هو فهم عفوي وتعامل سطحي، ودوره في حياتهم هامشي ولا علاقة له بأسلوب حياتهم ومنهج السلوك الاجتماعي[١].

ومن نتائج قصور المسلمين في فهم عمق وقوة هذا الدين وجود جماعات سياسية اتخذت من الدين وسيلة للخداع السياسي وكسب التأييد الشعبي وتحقيق مآرب شخصية ومطامع دنيوية، وهم في الحقيقة لا يعكسون الصورة الحقيقية للإسلام من احتوائه لكل فئات المجتمع والمساواة بين الجميع وتحقيق العدل ومبدأ تكافؤ الفرص، فالإسلام دين متكامل بعيد عن التصورات الجزئية والمذهبية، وقد أوصانا الرسول ﷺ بالرفق في فهم هذا الدين لأنه قوي شديد فقال: "إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فلن يُشاد الدين أحدٌ إلا غلبه"[٢]، فلا يظن إنسان أنه سيحقق كل جزء في هذا الدين وسيقدر على كل جوانبه معًا، إنما علينا الاجتهاد في الإيمان والعمل، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

---

١) عبد الحليم عويس، الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به، ط ١، (القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥) ص٦.

٢) الإمام زكريا أبو يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت)، ص٥٠.

فمفهوم وسطية الإسلام

لتعريف الوسطية من منظور لغوي نعرض المعنى اللغوي والاصطلاحي لوسطية الإسلام، ثم وسطية الإسلام من منظور إعلامي، يليه مفهوم الوسطية من منظور نفسي.

أ. المفهوم اللغوي لوسطية الإسلام:

يتحدد مفهوم الوسطية ببيان معناها اللغوي، ومعناها الاصطلاحي:

في اللغة: شرح خبراء اللغة في معاجم مصطلحات اللغة العربية أن الوسط: ظرف بمعنى "بين"، يقال جلس وسط القوم أي بينهم، ووسط الشيء أي ما بين طرفيه وهو منه، أو منتصفه، والمعتدل من كل شيء يقال شيء وسط، إذن فالوسطية تعني الاعتدال وهي المنطقة التي تقع بين طرفين متناقضين أي بين الإفراط والتفريط[1]، وأوسط الشيء أفضله وأخيره، والوساطة تعني التوسط في سبيل الحق والعدل، والأوسط أي المعتدل من كل شيء، أما عكس مفهوم الوسطية فتعبر عنه ألفاظ كالتشدد والتطرف والتصلب والجمود والغلو والتفريط[2].

---

١) مجموعة مؤلفين، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠١) طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ص٦٦٨.

٢) حمدي علي الفرماوي، سيكلوجية الوسطية لتعزيز الاعتدال ومواجهة التطرف، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٠) ص١٣.

اصطلاحًا: من خلال قراءتنا للتفاسير المختلفة لآيات القرآن الكريم نجد أن تعريف الوسطية كمفهوم في القرآن الكريم تعني الموقف المعتدل بين طرفين، فلا تميل إلى طرف دون الآخر وإنما تقف الموقف الذي يقتضيه الميزان القسط ولا تسمح بطغيان طرف على آخر فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما القسطاس المستقيم بين المادية والروحية، بين الواقعية والمثالية، والواقعية والفردية والجماعية[١].

ولا نريد بالوسطية أن يكون الإنسان في درجة المتوسط في عبادته أو عمله أو سلوكه، ولا أن يكون متوسط العلم أو العمل أو السعي أو الخلق بمعنى أنه لا يكون متقدمًا ممتازًا في هذه الأمور، بل نريد بالوسطية الأجود والأفضل والأكمل والأعدل، وخير الأمور أوسطها أي أعدلها[٢].

وقد حذّرنا الله سبحانه وتعالى من الغلو في الدين أو التفريط، فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ **الأنعام: ١٥٣**

١) محمد عبد الله الكسار، وسطية الإسلام في الأخلاق والسلوك، (د.ت، د.ط).
٢) أحمد عمر هاشم، وسطية الإسلام، (القاهرة: دار الرشيد، ٢٠٠٣) ص٧.

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ المائدة: ٧٧

* * * * *

ب. وسطية الإسلام من منظور إعلامي:

للبحث في وسطية الإسلام من منظور إعلامي لا بدّ أولاً من توضيح دور الإعلام في الدعوة للإسلام، ومدى ضرورة توضيح أسسه وخصائصه والتي تُعد الوسطية أحد ركائزه كدين جاء إلى كل البشر باختلاف ثقافاتهم وأماكنهم وأزمنتهم، وليقوم الإعلام بهذه الوظيفة الإخبارية الإعلامية كان لا بُدّ من أن يكون في هذا الدين ميزة وركيزة لم تتميز بها الديانات السابقة، والتي أرسلت لمجموعات محدد من الناس لهم ثقافات محددة في أماكن وأزمنة محددة، وهذه الميزة هي "الوسطية" أي صلاحية هذا الدين للنشر والإعلام لكل لغة وثقافة وفكر وزمن كان أو سيكون من يوم بعث سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى قيام الساعة.

* * * * *

ج. مفهوم الوسطية كسيكولوجية نفسية:

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بقبضة من الطين ونفخة من الروح، ولذلك فإن هذا الامتزاج طبقًا للطبيعة الإنسانية يعبر عن ازدواجية في توجّه الإنسان، وانعكس ذلك على سلوكه أيضًا، وكانت هذه الازدواجية في التكوين قد أصبحت أحد ركائز البناء النفسي ومبدأً يتم من خلاله تشخيص سلوك الإنسان وتقييمه بأنه سلوك سوي معتدل وسطي أم أنه سلوك منحرف متطرف، وتعد منطقة الوسطية في الفكر والسلوك هي منطقة الاستقرار النفسي، وسيطرة الإنسان على انفعالاته تدل على النضج الانفعالي والسلام النفسي[1]، ويحتاج هذا الطريق المستقيم من الإنسان مجاهدة نفسه والبعد عن التطرف من إفراط وتفريط في الحقوق والواجبات، وبين احتياجات الإنسان ورغباته، ودوافعه وإشباعاته، لذلك فعلى الإنسان الأخذ دائمًا بمرشده الروحي للموازنة بين كل هذه الجوانب، أما من حيث انفعالات الإنسان وردود أفعاله فالاعتدال والتوسط البعيد عن المبالغة والغلو في رد الفعل والتطرف فيه يعد توازنًا وسواءً نفسيًا.

وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٣

---

١) حمدي علي الفرماوي، سيكلوجية الوسطية لتعزيز الاعتدال ومواجهة التطرف، مرجع سابق، ص٣٤، ٣٥، ٥٨، ٥٩.

والله سبحانه وتعالى ينهانا في هذه الآية عن المبالغة في انفعالاتنا من فرح وحزن، فالاعتدال أوجب وأنفع وأصوب ويتسم صاحب هذا التوازن بالإيجابية والقدرة على التكيف والتعايش والإنجاز، وهذه الوسطية التي تعد أحد أسس التشريع الإسلامي.

إن النفس البشرية مليئة بالمتناقضات لكنها في نفس الوقت تميل إلى التوازن والاعتدال في فطرتها، إذا كانت تنشئة الإنسان سوية فإنه يسعى إلى تدعيم أسس الاعتدال في كل أمور حياته من سلوكه مع الآخرين إلى علاقاته مع نفسه وأسرته ومجتمعه بل ودينه، أما إذا نشأ الإنسان وهو يعاني من خلل في أحد جوانب حياته فإنه يلجأ إلى التطرف إلى أحد جانبي الفكر، إما إلى الإفراط أو إلى التفريط، ولأن الإسلام هو الدين الخاتم إلى يوم القيامة، فقد وضع أسس الحياة السوية المعتدلة الوسطية، لذلك فقد وازن بين الدنيا والدين، بين الروحية والمادية، بين التعبد لله والعمل لشئون الحياة، فهو يضع أساس كل فضيلة بين رذيلتين، ولأن الشريعة الإسلامية لا تقضي على الغرائز ولكن تنظمها كما قال الدكتور محمود شلتوت رحمه الله، بأن التوسط في كل أمور الحياة أصل عظيم في الإسلام، ولذلك فموقفها من حاجات الإنسان وغرائزه هو موقف الاعتدال والقصد والتنظيم[1].

---

١) محمود شلتوت، الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٦) ط١٣، ص٤١١،٤١٠.

فالخالق سبحانه وتعالى خلق في الإنسان غرائزه وفكره وأرسل إليه دليله لكيفية التحكم في هذه الغرائز والقدرة على إدارتها.

وقد غذى الإسلام الجانب الروحي للإنسان بالعبادات وروض النفس بمحاربة الشهوات وقوى الجسد بالموازنة بين النفس والروح وبين العبادة والعمل والراحة وإشباع الاحتياجات، فلدى الإنسان ما ليس لغيره من المخلوقات، فيه الروح التي نفخها الله سبحانه فيه تجذبه إلى المثالية والسمو، وفيه قبضة من الطين التي تجذبه إلى الأرض والواقعية، وقد تحير الإنسان كثيرًا بعلمائه وفلاسفته في بحث هذه العلاقة بين النفس والروح والجسد، لذلك كان من الضروري والحتمي وجود تشريع سماوي يفسر لعقل الإنسان المحدود هذه العلاقة بين مكونات الشخصية الثلاثة.

* * * * *

فمظاهر وسطية الإسلام

إن الإسلام شريعة عامة مؤسسة على كتاب الله وسنة رسول الله وهي نفسها الشريعة التي أنزلت مع آدم ودعا إليها نوح وجاهد لإظهارها إبراهيم وعمل بها موسى وعاش عليها عيسى عليهم جميعًا أفضل السلام، وأكملها وأتمها محمد (صلى الله عليه وسلم).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ **الشورى: ١٣.**

والشريعة الإسلامية أعطاها الله سمة الوسطية في الزمان والمكان والعقائد والأحكام والأخلاق والمنهج، فوسطية الزمان تعني أن الإسلام هو الدين الخاتم الذي يصدق ما قبله من رسالات سماوية، ولا يُعد إيمان المسلم كاملاً إلا عندما يؤمن بالكتب السماوية السابقة وبالرسل جميعًا من عرفهم ومن لم يعرف، وقد بعث الله سيدنا محمد برسالة الإسلام في وسط الزمان ليس في أوله ولا في آخره، وإنما بعث في زمن بلغ فيه الإنسان مرحلة الرشد العقلي والنضج، والشريعة الإسلامية مستمرة بأمر الله إلى يوم الدين فهي لكل أمة إلى قيام الساعة.

وفي المكان حيث إنها بدأت وانتشرت من جزيرة العرب التي هي ملتقى العالم حيث قارات العالم القديم الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، والكعبة المشرفة التي هي قبلة المسلمين هي في البقعة المباركة والمكان الوسط فهي في مركز الكوكب الأرضي، تتوسط دنيا الناس شرقًا وغربًا وشمالاً[1] وجنوبًا.

هذا من الناحية الجغرافية والمكانية، ومما لا شك فيه أن وسطية المكان تسهل من أمر الدعوة والتبليغ لكل الناس في كل أرجاء العالم مما يحقق عالمية الإسلام ويجعل أمر انتشاره أيسر، أما من حيث وسطية الشريعة الإسلامية في العقيدة فتعني أنها عقيدة خيرة، سمحة واضحة، مستقيمة، عادلة، لا إكراه فيها ولا تعقيد ليس فيها مغالاة، فالإيمان بالغيبيات أحد أهم أركان الإيمان لكن لا يستغرق المسلم في الإيمان بأشياء خارج نطاق العقل البشري، وفي الإيمان بالرسل لا نهون من الرسل ورسالاتهم ولا نساويهم بسائر الناس ولا نهول من شأنهم حتى نؤلههم، إنهم عباد اصطفاهم الله لدعوة الخلق إلى توحيد الله الخالق، وقد اختصهم الله تعالى بالوحي، وتعنى العقيدة في الإسلام بالإيمان بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمد ﷺ نبيًا ورسولاً، والإيمان بالكتب السماوية السابقة وبالرسل من علمنا منهم ومن لم نعلم، والإيمان باليوم الآخر، والغيب، وأن الموت حق والجنة حق والنار حق.

---

١) أحمد عمر هاشم، وسطية الإسلام، مرجع سابق، صـ١٥،١٢،١١.

وقد يسرت الشريعة على الإنسان الجمع بين رضا ربه بالعبادة والعمل على أمور دنياه بالعمل والسعي، وفي العبادة يسر كبير يتضح من خلال الآيات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ ﴾ الجمعة: ٩.

هناك أمران في الآيات؛ الأول بتلبية النداء والسعي إلى الصلاة وترك أي عمل دنيوي وقت الصلاة، والأمر الثاني هو السعي إلى العمل فور أداء العبادة، ولا تستغرق العبادة من صلاة اليوم كله، ولكنها خمس صلوات فقط في اليوم والليلة، والصوم فُرض شهراً واحدًا في العام، والحج مرة واحدة في العمر للمستطيع فقط، والزكاة فُرضت على نصاب محدد يكفل به الغني الفقير، وقد كلف الله المسلم بعبادة يعرف سبحانه أن الإنسان قادر على أدائها، ومع ذلك قد وضع رُخصًا في أداء العبادات لمن لديه عُذر كالمرض والسفر والحمل والوضع والرضاعة وغيرها من الأعذار الشرعية التي خفف الله فيها العبادة والتكليفات على العباد؛ لأن الأصل في التكليف هو الاستطاعة والقدرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾ البقرة: ٢٨٦.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قال: "هلك المتنطعون، هلك المتنطعون"، قالها ثلاثًا، رواه مسلم وصدق رسول الله ﷺ[1]، والمتنطعون هم المتعمقون الذين يتشددون في غير موضع التشديد، وقد وازنت الشريعة للإنسان بين نفسه وروحه وجسده، فالجسد يفنى والنفس تموت، أما الروح فلا تموت، بل تسبح في ملكوت الله إلى يوم الحساب.

لقد جعل الله تعالى شريعة الإسلام شريعة وسطًا في كل جوانب شخصية الإنسان، في استقلال شخصية الفرد عن الجماعة، وفي نفس الوقت لا ينعزل عن المجتمع الذي يعيش فيه، وفي عزة النفس بين الذلة والتكبر والإنفاق في غير إسراف أو تقتير، بين العسر واليسر، بين الجانب الحسي والجانب المعنوي.

ولما كانت الوسطية تعني التوازن والاعتدال وتريد الأفضل والأجود والأعدل وأوسط القوم أفضلهم، فهي تنشد المثالية في الأمور بأسلوب مستقيم وبأحسن الأفعال في كل الأحوال، وهناك خمس سمات إذا تحققت تكاملت بها صورة المجتمع الإسلامي هي:

---

١) الإمام أبي زكريا بن يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مرجع سابق، صـ٥٠.

١. الإنفاق في السراء والضراء.
٢. كظم الغيظ.
٣. العفو عن الناس.
٤. الإحسان إلى من أساء إليك.
٥. التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله تعالى.

وهذه السمات تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعًا فاضلاً مثاليًا وسطيًا معتدلاً، ولذلك قد جعل الله سبحانه هذه الأمة أمةً وسطًا بين الأمم، والأمة الإسلامية لكونها أمة وسطًا لها مسئولية ربانية مكلفة بأن تحمل أكمل منهج وأقومه في العقيدة والأخلاق والتشريع إلى بقية المجتمعات الإنسانية، مكلفة بدعوة الأمم الأخرى إلى الصراط المستقيم، منهج الله الذي يضمن للإنسان والمجتمع الحق والخير ويحقق له السعادة.

وذلك بالأساليب والطرق الحكيمة الرشيدة التي أرشدها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ **النحل**: ١٢٥
وكذلك بالقدوة بأن يصبح المجتمع الإسلامي مجتمعًا سليمًا يحقق

لأهله وللبشر جميعًا الحق والخير والسعادة والاستقرار، خصوصًا في الأوقات والظروف التي يزداد فيها الانحراف والبعد عن المنهج الرباني ويكثر فيها العنف والتطرف وتشويه صورة الإسلام الحقيقية والنيل منه[1]، أما جعله سبحانه لهذه الأمة بأنها تشهد على غيرها من الأمم هذا لأنها من أسس الإيمان فيها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، فلا تؤمن برسول وتكفر بغيره، فشرط الإسلام ثم الوصول إلى درجة الإيمان يأتي بالإيمان بكافة الرسل والأنبياء سواء من علِمْنا بهم أم من لم نعلم، لذلك فهي تشهد على جميع الأمم بأن الرسل أدّوا أمانة الرسالة والتبليغ إلى أقوامهم، فقد قال سبحانه مخاطبًا أمة سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ البقرة: ١٤٣

١)السيد محمود أبو الفيض المنوفي، حكمة الإسلام، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت) ص٧٨.

وتعد سمة وسطية الأمة هي أحد مظاهر وسطية الإسلام، حيث إنها علاقة جزء من كل؛ حيث يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطًا} أي إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط هنا الخيار والأجود، ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب[1]، إن معيار الصلاح والتقوى هو المقياس الذي وضعه الإسلام منهجًا تقاس به أفضلية الأمم والأفراد وكمالها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ الحجرات: ١٣، ومن هنا نجد المبدأ الذي نتحدث عنه في رسالة الإسلام وفي أمة الإسلام وهو مبدأ الخيرية والوسطية والعدل، فلا تُقبل الشهادة إلا من ذوي العدل والإنصاف، فكيف يجعلنا ربنا شهداء على الناس إن لم نكن كذلك؟! وقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن هذا الدين يُسر، ولن يُشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"[2].

---

١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، المجلد الأول، (القاهرة: دار الحديث،١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) ط١، صـ ٨١

٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مرجع سابق، صـ٥٠.

فالإفراط في الدين والغلو فيه بسبب المبالغة والاندفاع بقوة دون بصيرة طلبًا لاعتلاء أعلى الدرجات في الدين لنيل أرفع المنازل، وغالبًا ما يوافق هذا الاندفاع حركة متسارعة واضطراب في الرؤية والفكر وفساد في تصور الحقيقة، ومن ثم كان الغلو في الدين خروجًا عن حدود الله ودائمًا يصحب الغلو في الدين تعصب وهوى جامح من تلبس إبليس وغلو في السلوك الديني بطريقة منفرة، ومثال هذه المغالاة والإفراط بعض ما تعتقده بعض الفرق الدينية في عصمة علي بن أبي طالب وذريته بادعاء عصمتهم التشريعية، وأيضًا غلو بعض الفرق الأخرى في صفات الله وأسمائه سبحانه ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير، وقد روى الدارقطني وغيره عن أبي ثعلبة الخشني أن النبي ﷺ قال: "إنّ الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها"، قال النووي هذا (حديث حسن)، ومن الغلو في الدين التلاعب بدلالات النصوص اتباعًا للأهواء أو تتبع الآراء الاجتهادية الضعيفة التي لا سند لها والتي تخالف اجتهادات جمهور الفقهاء.

وإن من الغلو في الدين في الأحكام التشريعية: التعصب المذهبي للرأي مع وجود مذاهب أخرى معتبرة كهؤلاء المغالين في أحكام اللبس والزينة والاقتداء ظاهريًا بالرسول ﷺ في طريقة أكله وشربه ولباسه ومعاشه ومشيه مع أن هؤلاء الغلاة كثيرًا ما يتهاونون

في أمور الكبائر المجمع على تحريمها ولا يحذرون الناس منها كالقذف والحسد والغيبة والنميمة وشهادة الزور والكذب وإثارة الفتن واستخدام المراكز الوظيفية للمصالح الشخصية أو الحزبية، إن الرسول ﷺ نهى عن المغالاة في العبادة رغم أنها لا تفضي إلى ارتكاب محرّم لأنها تخالف ما أمر الله به في الاعتدال والتوسط من فرض وسنن[1]، وقد جاء ذلك في الحديث الشريف عن سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك -رضى الله تعالى عنه- يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[2].

هذا هو الاعتدال بين النفس والروح، والدين والدنيا.

---

١)جاد الحق علي جاد الحق، النبي في القرآن الكريم، قضايا إسلامية معاصرة، (القاهر: الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، د.ت) ص ٨٧-١١٤.

٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧)، باب الترغيب في النكاح، ج٥، ص١.

ومن الأمثلة التي توضح وسطية الإسلام: وسطية الإسلام في الجانب الأخلاقي، حيث جاء الإسلام وسطًا في أخلاقياته، فلم ينظر إلى الإنسان باعتباره خيرًا محضًا أو شرًا محضًا، أي لم يكن تعامله مع الإنسان على أنه ملك أو شيطان، وإنما تعامل معه بما يتوافق مع أصل فطرته وطبيعة تكوينه، فهو مخلوق مكلف مختار، صالح للطاعة أو المعصية، فيه الجانب المادي والجانب الروحي، وسأضرب مثالاً واحدًا على ذلك: إذا وقع اعتداء على إنسان ما، فإن النصرانية مثلا تدعوه إلى الإفراط في التسامح والعفو، وفي هذا يقول الإنجيل: {من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر} ويقول: {أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم} ولا شك أنها نظرة مثالية محمودة، ولكنها ليست متوازنة؛ لأن الإنسان بطبيعته وفطرته يميل إلى الدفاع عن نفسه ورد الاعتداء الواقع عليه، والانتقام ممن أهانه أو غض من كرامته، فإذا وقع الاعتداء، وطلب منه إلزامًا أن يعفو ويصفح، فلا شك أنه سيكبت غضبه وغيظه على كره ومضض، وسيحاول التنفيس عن غضبه وغيظه حينما تسنح الفرصة المناسبة، أما في اليهودية فتحث على القصاص.

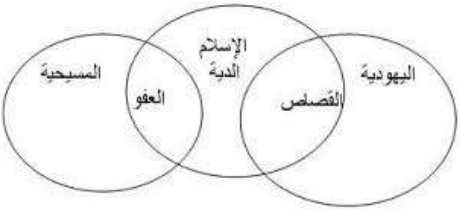

في حين أن الإسلام أتى وسطًا في هذه القضية، بأن راعى في النفس البشرية نوازع الرغبة في الانتقام والثأر، فأباح للمعتدى عليه أن يرد الاعتداء بمثله فقط، بحيث لا تنتقل المسألة من خانة رد الاعتداء إلى خانة التشفي والظلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ **البقرة**: ١٩٤

ويقول سبحانه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ **الشورى**: ٤٠

ولكن الإسلام وهو يبيح رد الاعتداء، فإنه يرغّب في العفو والتسامح، أي أنه يطلب من المعتدى عليه أن يتسامى بغريزة رد الاعتداء إلى مستوى أعلى وأفق أرحب، ويتضح ذلك مما يلي:

أطلق الإسلام على عملية رد الاعتداء صفة "الاعتداء" كما بينت الآية المذكورة: ﴿آنفا فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾،

وفي آية أخرى من نفس السورة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾

البقرة: ١٩٠

وصفة "السوء" كما قال في الآية الأخرى (سيئة مثلها) مع أن الأصل أن لا يطلق على رد الاعتداء صفة "الاعتداء" ولا على رد السيئة "سيئة"، لكن هذا -في حقيقة الأمر- ترغيب في العفو والمسامحة من طرف خفي، فالمسلم بطبيعته ينأى بنفسه بعيدًا عن الاعتداء وعن السيئة، فهو يؤثر العفو والتسامح.

اشترط الإسلام تحقق "المثلية" في عملية رد الاعتداء، وأكد عليها، وحذّر من تجاوزها، وهذا أيضًا في واقع الأمر دعوة إلى العفو والتسامح؛ إذ إن المسلم الورع الذي يخشى الله ويراقبه، يخاف أن لا يلتزم بهذه "المثلية"، ويخاف أن تدفعه غريزة الانتقام إلى رد الصاع صاعين، والتشفي من غريمه، لذا فإنه يؤثر السلامة، ويجنح إلى العفو والتسامح، خاصة وأن الله عز وجل قد استجاش فيه مشاعر التقوى حينما قال في نهاية الآية الأولى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾.

بيَّنَ الإسلام أن العفو والتسامح هو المسلك الأولى والأجدر بالقبول، وذلك في قوله تعَالَىٰ:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ **الشورى: ٤٠**

ثم يحث الإسلام على السمو إلى منزلة أعلى ومكانة أسمى، وذلك حينما لا يكتفي بالترغيب في العفو، وإنما يرغب في الإحسان إلى المسيء، ومواجهة السيئة لا بسيئة مثلها وإنما بحسنة تزيل أسباب العداوة وتمحو دوافع البغضاء، ويقول سبحانه:

﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾

فصلت: ٣٤ – ٣٦

ويقول جل شأنه: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ **آل عمران: ١٣٤**

ويقول تعَالَىٰ:﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣ ﴾

الشورى: ٤٣

الوسطية أحد خصائص التشريع الإسلامي

إن وسطية الإسلام هي من أهم خصائص التشريع الإسلامي، حيث تتكامل خصائص الإسلام لتكمل كل خاصية منها الأخرى، فسماحة التشريع الإسلامي تتكامل مع خاصية رعايته لحقوق الإنسان، ووضوح الإسلام خاصية تتكامل مع خاصية ثبوت هذا التشريع وحفظ الله له، وهذه الخصائص الأربع تتكامل معًا لتتكامل مع عالمية هذه الرسالة أي أنها صالحة لكل مكان ولكل ثقافة ولكل فكر، وتتكامل هذه الخاصية "عالمية التشريع الإسلامي" مع خاصية وسطية التشريع الإسلامي، حيث إن العالمية جزء لا يتجزأ من وسطية التشريع الإسلامي، وبهذا يمكن أن نلقي الضوء على خصائص التشريع الإسلامي فيما يلي[1]:

١. ثبوته وحفظ الله تعالى له.
٢. السماحة.
٣. الوضوح.
٤. رعايته لحقوق الإنسان.
٥. وسطية الإسلام.
٦. عالميته.
٧. رعايته للأسرة.

---

١)أحمد عمر هاشم، التشريع الإسلامي مصادره وخصائصه، (القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠٠٤)، ص١٤٣-٢٦٠.

١. ثبوته وحفظ الله تعالى له

مصادر التشريع الإسلامي ثابتة ولا يستطيع أحد أن يشكك فيها؛ لأن مصادره ترجع إلى منبع واحد هو الوحي الإلهي، مصدره الأول هو القرآن الكريم، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه وهو القادر على ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ الحجر: ٩.

ومصدره الثاني هو السُّنّة النبوية الشريفة، فقد أمرنا الله سبحانه أن نقتدي بالرسول الكريم في قوله وفعله وخلقه ومعاملاته وكل شئون الحياة اليومية، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ الأحزاب: ٢١.

ولما كانت الشريعة الإسلامية عامة وخالدة إلى يوم القيامة لزم أن تحفظ وتدون وتكون مصونة من أي ضياع حتى يمكن أن يستمر هديها، فجعل من المؤمنين رجال ونساء حفظوها ودونها ونقلوها بكل أمانة وصدق من جيل إلى جيل بكل دقة، حتى أصبح هناك علم اسمه علم الحديث يتناول كل ما صدر عن الرسول الكريم ﷺ من قول وفعل وسلوك بالشرح والتفسير؛ لتتكامل الشريعة الإسلامية بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

لذلك أمرنا الله سبحانه بأن نتأسى ونقتدي بسنة سيدنا محمد ﷺ ونلتزم بها تمام الالتزام.

فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ الحشر: ٧

* * * * *

٢. السماحة

إن لسماحة الإسلام في العقيدة والعبادة والمعاملات دلائل منها:

في جانب العقيدة:

جاء الإسلام بشريعة سهلة لا صعوبة فيها ولا تعقيد، فهي تشمل الإيمان بالله إلهًا واحدًا لا شريك له، والإيمان بملائكته وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، وأن لهم وظائف كلفهم الله سبحانه وتعالى بها، والإيمان بكتبه السماوية وآخرها القرآن الكريم، ورسله وخاتمهم محمد ﷺ، وأنهم بشر، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ومن السماحة في جانب العقيدة أيضًا أنه لا إكراه في الدين، فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

أي لا تُكرِهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام فإنه بيّن واضح جليّ دلائله وبراهينه لا تحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره وأنار بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا.

وهذه الآية توضح أنه لا يوجد أوصياء من الناس على الناس، وإنما على الرسل البلاغ وعلى الله الهداية، وقد كان رسول الله ﷺ مِثالاً يُحتذى به في السماحة والعفو ولين الجانب؛ حيث دعا لقومه بالهداية ولم يدع عليهم رغم أنهم آذوه وأعرضوا عنه، لكنه رجا الله قائلاً: "اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون"، وعفا عنهم بعد فتح مكة، فما كانت ثمار هذه السماحة والعفو؟ إنه الإيمان والدخول في هذا الدين السمح.

سماحة التشريع الإسلامي في جانب العبادات:

فقد شرع الله سبحانه وتعالى عبادات تتسم باليسر والرحمة ورفع الحرج، فالصلاة فرضت خمس مرات في اليوم ليقدر الإنسان على مراعاة شئونه وعمله، وإن عجز عن الوقوف بها فيمكنه أن يقيمها جالسًا، وإن لم يستطع فمستلقيًا، وإن لم يستطع فبعينيه، فما أيسره من تشريع! أما الزكاة فقد فرضت على من يملك نصابًا محددًا يحول عليه الحول (أي المستطيع فقط)، وذلك مراعاة لمقدرة الناس غنيهم وفقيرهم لوضع نوع من التكافل في المجتمع بين كل فئات الناس، ونرى هذه السماحة في عبادة الصيام أيضًا، فمن لم يستطع صيام شهر رمضان بسبب المرض أو السفر الطويل أو حمل المرأة وغيرها من الظروف التي وضع الله سبحانه فيها رخصة الإفطار مع التعويض في أيام أخر، وفي عبادة الحج فرضت على المستطيع مرة في العمر.

ومن سماحة الإسلام أيضًا رفع الحرج عن الضعفاء وأصحاب الأعذار والمرضى وأعفاهم من الجهاد، فقال تعالى:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ **التوبة: ٩١**

وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾ التغابن: ١٦،

وقال جل شأنه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ الحج:٧٨

هذا في جانب العبادات، وأما في جانب المعاملات: فنرى سماحة التشريع الإسلامي في البيع والشراء والقضاء والاقتضاء، عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: "رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى/اقتضى".

وقد دعا الرسول ﷺ إلى التيسير والرفق في كل الأمور، فما دخل الرفق في أمر إلا زانه وما نزع من أمرٍ إلا شانه، وكان ﷺ ما خُيِّرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

* * * * *

٠٣. الوضوح

فهذا الدين يقدم الأدلة التي يحتاجها عقل الإنسان وقلبه وفطرته للإيمان بوجود الله ووحدانيته وربوبيته حتى تكون حُجةً على الإنسان يوم القيامة، والإيمان بالملائكة وكتب الله ورسله، فالباحث في هذا الدين يجده وحدة واحدة منتظمة ومتكاملة، دين وضع شريعة متكاملة من الحقوق والواجبات سواء في العقيدة أو في العبادة أو في المعاملات، وضح الثواب والعقاب، وضح أوامر الله سبحانه ونواهيه، وضح مكافأة المؤمن على إيمانه وجزاء الكافر على عناده وكفره، ثوابت هذا الدين لا لبس فيها ولا تغير.

* * * * *

٤. رعايته لحقوق الإنسان

ظن البعض ظنًا خاطئًا أن الغرب كان أول من وضع مواثيق لحماية الإنسان وتوضيح حقوقه حين تم وضع أول وثيقة سياسية واجتماعية في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩ عقب الثورة الفرنسية الكبرى، ثم تبلورت هذه الوثيقة في ميثاق عصبة الأمم عام ١٩٢٠ ثم في ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥، ثم صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨، ذلك هو التاريخ الشائع لنشأة مواثيق حقوق الإنسان، ولكن بمقارنة هذا التاريخ بما جاء في الشرائع السماوية من حماية لحقوق الإنسان، وخاصة ما جاء به الإسلام كدستور شامل للإنسان يوضح له واجباته ويوضح له حقوقه بما يكفل تكامل المجتمع وحمايته ككل، إن الشريعة الإسلامية وضحت حقوق الإنسان إجمالاً وتفصيلاً منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، بينما المواثيق وضعت منذ ما يقرب من قرنين ونصف من الزمان، لقد أكد الإسلام على أن حق الإنسان في الحياة وحقّه في المأكل والملبس والمسكن والأمن والحرية في الفكر والاعتقاد والتعبير والعلم والتعليم والمراقبة والمحاسبة، وحقه في المساواة والعدل، وحق الإنسان في احترام حياته الشخصية، والمشاركة الإيجابية في كل مجالات الحياة.

ليست فقط مجرد حقوق للإنسان يمكن أن يتنازل عنها أو عن بعضها، إنما هي ضرورات إنسانية لا يمكن التفريط فيها[1].

فكيف يمكن لإنسان ليس لديه ما يكفي حاجاته الضرورية من مأكل وملبس ومأوى، أو لا يأمن على نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه، كيف له أن يؤدي التكاليف والعبادات؟ لذلك جعل الشرع هذه الحقوق هي واجبات ضرورية لازمة التحقيق.

* * * * *

١) محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨٥) صـ١٣-١٦.

٥. وسطية الإسلام

إن من أهم أسس الإسلام كرسالة خاتمة هي الوسطية، وهي تعني أن كل ما شرعه الله في هذه الرسالة هو خير ووسط وعدل، إن الله اختار لهذه الرسالة أن تكون متممة لما سبقها من رسالات سماوية، والوسطية هنا ليست فقط في وسطية العقيدة والتشريع والأوامر والنواهي والعبادات، وإنما الوسطية في الزمان والمكان، فالكعبة المشرفة هي قبلة المسلمين، وتقع في مكة المكرمة التي هي في وسط الكوكب الأرضي، نتوسط الدنيا شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا.

أما من حيث الزمان فهذه الرسالة تصلح لكل زمان إلى يوم قيام الساعة، فكلما اجتهد العلماء في زمن وجدوها وكأنها جاءت لزمنهم، فالباحث يجد في هذه الرسالة حكمة ربانية في العدل والتوسط بين أمور الدين وأمور الدنيا، وبين روح الإنسان وجسده.

قال الإمام البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟

قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم (يقوم الليل صلاة)، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصلّ، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: صدق سلمان"[1].

فوسطية الإسلام في كل أمور الدين والدنيا بين الديانات والشرائع السماوية السابقة ووسطية الأمم التابعة له كل ذلك جعل لهذه الأمة مكانة لا تضاهيها أي أمة أخرى، حيث إن سائر الأمم تعترف لأمة محمد ﷺ بالفضل يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ **البقرة: ١٤٣**

١) أحمد عمر هاشم، وسطية الإسلام، مرجع سابق، صـ ٤٣.

يقول تعالى إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط ههنا الخيار والأجود، كما يقال قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا أي خيرها.

وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه أي أشرفهم نسبًا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج: ٧٨

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمّته. قال: فذلك قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾

قال: والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم[1]، وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك، فيدعى قومه فيقال هل بلغكم هذا؟ فيقولون لا، فيقال له هل بلغت قومك؟ فيقول نعم، فيقال من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون نعم، فيقال وما علمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلّغوا، فذلك قوله عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

قال عدلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

وقال الإمام أحمد أيضًا حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال عدلا، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم من حديث عبد الواحد بن زياد عن أبي مالك الأشجعي عن المغيرة بن عتيبة بن نهاس، حدثني مكتب لنا عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال:

---

١) رواه البخاري «٣٣٣٩» والترمذي «٢٩٦١» والنسائي «كبرى تحفة ٤٠٠٣» والإمام أحمد، وابن ماجة «٤٢٨٤» من طرق الأعمش.

"أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ودّ أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلّغ رسالة ربه عز وجل".

وروى الحاكم في مستدركه «٢٦٨/٢» وابن مردويه أيضًا واللفظ له من حديث مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب القرظي عن جابر بن عبد الله قال:

هد رسول الله ﷺ جنازة في بني مسلمة وكنت إلى جانب رسول الله ﷺ فقال بعضهم: والله يا رسول الله لنعم المرء كان لقد كان عفيفًا مسلمًا، وكان وأثنوا عليه خيرًا، فقال رسول الله ﷺ: أنت بما تقول، فقال الرجل: الله أعلم بالسرائر، فأما الذي بدا لنا منه فذاك، فقال النبي ﷺ: وجبت، ثم شهد جنازة في بني حارثة وكنت إلى جانب رسول الله ﷺ فقال بعضهم: يا رسول الله بئس المرء كان إن كان فظًا غليظًا فأثنوا عليه شرًا، فقال رسول الله ﷺ لبعضهم: أنت بالذي تقول، فقال الرجل: الله أعلم بالسرائر، فأما الذي بدا لنا منه فذاك، فقال رسول الله ﷺ: وجبت.

قال مصعب بن ثابت: فقال لنا عند ذلك محمد بن كعب: صدق رسول الله ﷺ، ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الإمام أحمد «٢١/١»: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن بريدة عن أبي الأسود أنه قال:

أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع بها مرض فهم يموتون موتا ذريعًا، فجلست إلى عمر بن الخطاب فمرّت به جنازة فأثنى على صاحبها خيرًا فقال وجبت، ثم مر بأخرى فأثنى عليها شرًا فقال عمر وجبت، فقال أبو الأسود ما وجبت يا أمير المؤمنين؟

قال: قلت كما قال رسول الله ﷺ أيّما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، قال: فقلنا وثلاثة؟ قال فقال وثلاثة، قال: فقلنا واثنان؟ قال واثنان، ثم لم نسأله عن الواحد[١]، وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى، حدثنا أبو قلابة الرقاشي، حدثني أبو الوليد، حدثنا نافع بن عمر، حدثني أمية بن صفوان عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ بالبناوة يقول: يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيء، أنتم شهداء الله في الأرض[٢].

١) رواه البخاري «١٣٦٨» والترمذي «١٠٥٩» والنسائي «٥٠/٤» من حديث داود ابن أبي الفرات به.

٢) رواه ابن ماجة «٤٢٢١» عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون ورواه الإمام أحمد «المسند الجامع ١٢٤٤٨» عن يزيد بن هارون «٤١٦/٣» وعبد الملك بن عمرو سريج عن نافع بن عمر به.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ البقرة: ١٤٣

أي إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولا إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه أي مرتدًا عن دينه وإن كانت لكبيرة أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة، أي وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك، بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق كما قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ التوبة: ١٢٤

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء: ٨٢

ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول ﷺ وأتباعه في ذلك وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة، وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم الذين صلوا إلى القبلتين، وقال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء رجل فقال: قد أُنزِل على النبي ﷺ قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فتوجهوا إلى الكعبة[1]، وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله وانقيادهم لأوامر الله عز وجل (رضي الله عنهم أجمعين).

١) رواه مسلم «٥٢٦» من وجه آخر عن ابن عمر، ورواه الترمذي «٣٤١» من حديث سفيان الثوري وعنده أنهم كانوا ركوعًا فاستداروا كما هم إلى الكعبة وهم ركوع، وكذا رواه مسلم «٥٢٧» من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مثله.

وقوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ما كان يضيع ثوابها عند الله، وفي الصحيح من حديث أبي إسحاق السبيعي عن البراء قال: مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس، فقال الناس ما حالهم في ذلك؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾،ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه، وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ أي بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى، أي ليعطيكم أجرهما جميعًا.

وقال الحسن البصري: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ أي ما كان الله ليضيع محمدًا ﷺ وانصرافكم معه حيث انصرف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها فجعلت كلما وجدت صبيًا من السبي أخذته فألصقته بصدرها وهي تدور على ولدها، فلما وجدته ضمته إليها وألقمته ثديها، فقال رسول الله ﷺ: "أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن لا تطرحه؟ قالوا لا يا رسول الله، قال: فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[1].

١) تفسير ابن كثير سورة البقرة الآية ١٤٣.

٦. عالمية الإسلام

لقد جاءت رسالة الإسلام إلى الناس كافة في كل أرجاء الأرض من يوم بعث سيدنا محمد إلى قيام الساعة، وليست خاصة بقومٍ أو بأرضٍ أو بزمنٍ معين، إنما جاءت للناس كافة في كل زمان ومكان، لذلك فهي تختلف عن كل الدعوات والرسالات السماوية السابقة، فهي رسالة عالمية تتمم الرسالات السابقة ويكملها، فكل رسول قبل سيدنا محمد ﷺ كان قد أُرسل لقومه فقط يدعوهم إلى الإيمان بالله فإن آمنوا رضي الله عنهم، وإن أبوا الإيمان فإن الله سبحانه وتعالى يرسل عليهم عذابه ليكونوا عبرة لمن بعدهم من الأمم وليؤمنوا إن جاءهم نذير، أما الرسالة الخاتمة فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ سبأ: ٢٨

بُشرى للمؤمنين ونذيرًا للعاصين والكافرين، إن الإسلام قد جاء بأخبار الأولين والآخرين وثواب المؤمنين وعقاب الكافرين، وعلى كل إنسان أن يختار طريقه ولن يجبره أحد على الإيمان أو الكفر، وليس لمخلوق أن يكون وصيًا على عباد الله أو يحاسبهم إنما حسابهم على الله، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، تحدد منزلة الناس بتقواهم لله وسعيهم لرضاه.

٧. رعايته للأسرة

إن الإسلام لم يعتنِ بالأسرة بعد تكوينها فقط وإنما حرص على العناية بالأسرة قبل تكوينها منذ البداية من تربية الفتاة والفتى، ثم كيفية اختيار الرجل للزوجة الصالحة وسمات هذه الزوجة التي عليه اختيارها وهي كذلك كيف يختار أهل المرأة أو هي كيف تختار الزوج الصالح وما هي سماته، ثم بعد ذلك أسس الحياة الزوجية السليمة، ثم العناية بالأطفال ليس من وقت ولادتهم وإنما من اللحظة التي يصبحون فيها أجنة في الأرحام، ثم العناية بهؤلاء الأطفال في كل مراحل عمرهم وكيفية تربيتهم على التمسك بالفطرة السليمة والأخلاق الكريمة والاستقامة في أمور الدين والدنيا، ومن محاسن الشريعة الإسلامية أن المُشرع سبحانه وتعالى قد كفل لكل فرد في الأسرة حقه وكرامته على باقي الأطراف، وذلك لضمان تماسك الأسرة ورعايتها وتكاملها، فلقد فرض الله على الأبناء طاعة الوالدين وحسن معاملتهما وبرهما في الصغر والكبر، وفرض على الوالدين تجاه أبنائهما حسن التربية، واختيار الاسم الحسن، والرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية، وتعليمهم، وتوفير حاجاتهم وخاصة الحاجات الأساسية من مأكل ومشرب وملبس ومأوى، وعند أداء كل منهم حق الآخر فإن الأسرة المسلمة تصبح أكثر تماسكًا وقوة وترابطًا.

أبعاد وسطية الإسلام

إن لوسطية الإسلام أبعادًا تتعلق بالشكل الذي تتضح به هذه الوسطية وأبعادًا تتعلق بمضمون وسطية الإسلام، فالله تعالى أراد لرسالة الإسلام الانتشار والاستمرار فأوجد عوامل انتشار هذه الرسالة حيث اصطفى لها النبي والزمان والمكان والقوم الذين ستكون فيهم الدعوة الأولى للإسلام، وقد جاءت دعوة الإسلام في وقت يحتاجها الناس وبمنهج وسطي معتدل بين الديانات السماوية السابقة وبين عقائد العرب في الجاهلية.

ويعد اصطفاء الله سبحانه وتعالى (للنبي، والزمان، والمكان، والقوم) هي الأبعاد الشكلية لـ"وسطية الإسلام"، أما وضع شريعة إلهية تتوافق مع هذه الأبعاد حيث تصلح أحكامها وعقائدها لكل زمان ومكان ولكل ثقافة وفكر من بداية الرسالة إلى قيام الساعة، فإن هذه الأبعاد هي مضمون "وسطية الإسلام" وتكاملت أبعاد الشكل والمضمون لتقدم للإنسانية شريعة وسطية تتوافق مع حاجات الإنسانية، من هنا يمكن أن نوجز أهم أبعاد وسطية الإسلام وهي[1]:

---

١)أحمد عبد الرحيم السايح، حاجة الإنسانية إلى ظهور الإسلام، ط١ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩١م) ص٨٣-٩٤.

أ: أثر اختيار الرسول ﷺ ليبلغ الإسلام في انتشار هذه الدعوة:

إن الله اصطفى محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين من نسل إسماعيل جد العرب بن إبراهيم خليل الله عليه السلام، وينتمي سيدنا محمد ﷺ إلى بطن بني هاشم وهم بطن من أوسط بطون قريش ويقطنون مكة ويرتبط مع سائر بطون قريش في قرابة فتؤدي هذه القرابة بدورها إلى وحدة، ولذلك فعروبة النبي ثابتة موطنًا وجنسًا ولغة، وهذه العروبة المكية تعطي للدعوة الإسلامية قوة، حيث إن مكة هي أم القرى ومركز لتجارة العرب وقوافلهم تمر بها ذهابًا وإيابًا بين الشام واليمن، وبها الكعبة وقد درج الناس والعرب على تقديرها، ولقد كان لنسب النبي الرفيع العالي أثره في معرفة العرب بأنه لا يرغب بهذه الدعوة عزًا أو مُلكًا أو مالاً، وإنما يبلغ رسالة ربه لصلاح الناس وهدايتهم، وقد أكد القرآن الكريم في عدة مواضع على أن الرسول من العرب جاء بشيرًا ونذيرًا، وهذا يجعل العرب أولى الناس باتباع دعوته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: ١٢٨

ب: أثر اختيار الأمة الأولى للإسلام في انتشار الإسلام:

جاء الإسلام مُعجزًا لفصاحة العرب، مناسبًا لبيئتهم متممًا لمكارم الأخلاق التي يتمتع بها العرب دون غيرهم من شجاعة وكرم وعزة نفس وإغاثة المستجير، جاءهم بالقرآن ليُعجز الفصحاء والأدباء ويرون ما فيه من بلاغة وفصاحة ويتعقلون في آياته ويتدبرون في حكمة قائله سبحانه وتعالى، هذا إضافة إلى مكانة العرب في هذا الوقت بين الأمم نتيجة لمركزهم التجاري (الاقتصادي) ورعايتهم للحجيج والتجار في مواسم الحج والتجارة، ووسطية مكانهم في العالم القديم، كل هذا جعل من العرب الأمة المثالية لبعث الرسالة الخاتمة وانتشارها بين الناس في كافة أرجاء الأرض.

ج: أثر عناية الله في اختيار المكان لظهور الدعوة في انتشار الإسلام:

إن اختيار مكة لتكون مبعث الرسالة الخاتمة جاء نتيجة توفر عدة عوامل وأسباب تجمعت فيها منذ خلقها الله، أولها أن فيها أشرف بقعة في الأرض ومقصد الناس من يوم رفع إبراهيم القواعد من البيت، وثانيها أنها هي أم القرى.

فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ **الأنعام: ٩٢**

وهي مركز لالتقاء طرق التجارة والقوافل بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، وذلك برًا وبحرًا، فيسهل انتشار الدعوة عبر وسائل النقل المتاحة في هذا الزمن، وثالثها أن للبيئة العربية الصحراوية البدوية أثرها وارتباطها بهذه الدعوة، ورابعها أن مكة كانت مركزًا للإشعاع اللغوي والفكري، ولتنافس الأدباء في البلاغة والفصاحة والشعر، من هذه الأسباب وغيرها جعلت مكة هي المكان المثالي للرسالة الخاتمة "الإسلام".

د: أثر عناية الله في اختيار الزمان لظهور الدعوة في انتشار الإسلام:

إن الرسول ﷺ ولد في عام الفيل وهو العام الذي أراد فيه أبرهة الحبشي أن يهدم الكعبة المشرفة ليحج إليه العرب في بيت بناه بأرضه فبعث الله عليهم طيرًا أبابيل بحجارة من سجيل ليكونوا عبرة لمن يتعدى على بيت الله الحرام، وفي هذا الزمن الذي بعث فيه سيدنا محمد كانت اليهودية والنصرانية لم تعد تصلح لهذا الزمن بمتغيراته واحتياجاته، فقد تلوثت الزمم والنفوس وتحرفت الكتب السماوية، وحتى اليهود والنصارى كانوا ينتظرون النبي الذي سيبعث في العرب ليخلص الإنسانية مما لحق بها من شرور وآثام، فقد كان خبره عندهم وكان قد انقضى وقت طويل منذ آخر رسالة سماوية.

وكانت قد انتشرت عبادة الأوثان والنار وغيرها فكان لا بُد من بعث نبي يبشر بالجنة لمن اهتدى وينذر العاصين والكافرين من عذاب الله في نار جهنم، لذلك كله كان هذا الزمن هو الزمن المثالي المناسب للدعوة الخاتمة.

هـ: أثر حاجة الإنسانية إلى الإسلام في انتشاره:

إن حاجة الناس للأشياء هي التي تجعله يدرك قيمتها وفي الوقت الذي فسدت عقائد الناس وابتعدوا عن توحيد الله عز وجل وانتشر الشرك وعبادة الأوثان والنار وغيرها في كل بقاع الأرض فخربت الذمم وانتشر الفساد وعمت الفوضى، فكان لا بُد للعالم من منقذ ودعوة تخلصهم مما هم فيه من ظلم وظلام، فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ الروم: ٤١

فقد كان الفساد والعبودية والرق والاستغراق في أمور الدنيا قد جعل النفس الإنسانية معذبة مكبلة تبحث عن طريق الخلاص والهداية، وقد كان ذلك في الإسلام، فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ البقرة: ٣٨

وحيث إن الإسلام رسالة جاءت تستثير العقل وتنيره، فأول آية نُزلت على سيدنا محمد ﷺ هي أمر بالقراءة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ **العلق**: ١

والقراءة عمل عقلي معرفي، وقد تكررت في القرآن الكريم الكلمات التي تستحث العقل وتستثيره على التفكير، فنجد ذلك في الآيات التي تنتهي بقوله تعالى: "لعلهم يعقلون"، وقوله تعالى "لعلهم يفقهون"، "أفلا يتفكرون"، والقارئ للقرآن يجد فيه في كل مرة يقرأه فيه جوانب عقلية لم يكن يراها قبل ذلك، والعالم يكتشف بالبحث والاطلاع والتجربة أمورًا واكتشافات لم يتوصل إليها أحد من قبل، والأديب يجد فيه بلاغة تعجز أهل البلاغة والفصاحة، فهو معجزة ربانية تقود الإنسان بأن هذا القرآن منزل من خالق هذا الكون وتدعوه إلى الإيمان بهذا الخالق وحده دون سواه، ومن جانب العمليات الحسية حيث الحواس والماديات نجد آيات القرآن تنبهنا إلى بديع صنع الكون في السماوات والأرض وعجائب المخلوقات بل وفي أنفسنا لعلنا نهتدي، فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٖ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ۝١٨٥ ﴾ **الأعراف**: ١٨٥

أما من جانب المنهج الفلسفي فإن الدين الإسلامي قد شمل مجالات لم يقدر العقل البشري في التوصل إلى حقيقتها من هذه المجالات مجال ما وراء الطبيعة، فلقد حاول علماء الفلسفة جاهدين التوصل مثلاً لحقيقة الروح هل هي فانية بفناء جسد الإنسان وموته أم أنها باقية ولكن تنفصل عن الجسد فقط؟ لقد حاول في هذا المجال سقراط (أبو الفلاسفة اليونانيين) وتلاميذة فيثاغورث، ولكنهم حينما لم يتوصلوا إلى شيء في هذا المجال اعترفوا بأنه لو جاء دين جديد يحدد الموضوع تحديدًا تامًا فإنهم كانوا سيستجيبون له ويؤمنون به وتهدأ نفوسهم فيما يتعلق بهذا الأمر، لقد بعث الله هذا الدين بكل ما يمكن أن يكتشفه الإنسان من حقائق علمية إلى قيام الساعة، بالإضافة إلى أنه أخرج الإنسان من شتات البحث في علوم ما وراء الطبيعة أي كل ما يخرج عن نطاق وقدرات العقل البشري[1].

فالباحث من خلال منهج علمي صحيح يجد كل ما توصل إليه أساسه في هذا الدين، والباحث في علوم ما وراء حدود العقل البشري يجد هُداه وضالته وطمأنينة قلبه في هذا الدين، فما يسع هذا أو ذاك إلا الإيمان بالله والخشية منه سبحانه.

١)عبد الحليم محمود، منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع، (القاهرة: دار الرشاد، ٢٠٠٠) ط٢، صـ ٣١-٣٣.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ **فاطر: ٢٨**

وقال أيضًا سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ **آل عمران: ١٨**

من هذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم نجد أن هذا الدين وضعه الله سبحانه على أساس علمي بحيث كلما تعمق إنسان في فروع العلم ويجد دلائل ما وجد في هذا الدين لا يسعه إلا أن يؤمن بالله ووحدانيته وربوبيته وعظيم قدرته سبحانه، وهذا هو معنى خشية الله سبحانه وتعالى، وبالرغم من ذلك نجد في هذا العصر اتجاهين متطرفين؛ يقول الأول إنه لا يجوز للمسلم أن يُعمل عقله في فهم الآيات والنصوص فعليه الطاعة العمياء دون فهم أو استيعاب لما أمر به الله أو نهى عنه، وهذا اتجاه مغلوط وخاطئ، والاتجاه الثاني يرى أن من حق الإنسان المسلم إعمال عقله في كل صغيرة وكبيرة من أمور الدين، وله أن يفهم ويُفسر الأحكام والتشريعات والآيات والنصوص وفق قدراته العقلية دون الرجوع إلى متخصصين في علوم الدين.

وهذا يجعل الأحكام والتشريعات تختلف باختلاف القدرات العقلية لكل إنسان، وتفتح باب الفوضى والتشكيك بدعوى أنه لا كهنوت في الإسلام، ومن المتفق عليه أنه لا كهنوت في الإسلام أي ليس هناك ولاية دينية من أي إنسان أو حتى عالم دين على الناس وإيمانهم، لكن كما نعترف بالتخصص في مجالات العلوم المختلفة مثل الطب والهندسة والذرة لا بُد أن نعترف أن هناك علماء مختصين في علوم الدين المختلفة من فقهٍ وتفسير وفتوى وحديث ولغة، فيمكن أن أقرأ في الطب لكن لا يمكن أن أجري عملية جراحية لمريض وهكذا.

وقد أكدت السنة النبوية على مكانة العلم والعلماء أيضًا، قال رسول الله ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء" رواه أبو داود والترمذي، وقال أيضًا ﷺ: "من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" رواه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء (رضي الله عنه)، وقال أيضًا: "تعلّموا العلم فإن تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد،

وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الخلاء ويرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة تقتفى آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خُلتهم، وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلا في *الدنيا والآخرة، والتفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام.

وهو إمام العمل، والعمل تابع، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء" رواه معاذ بن جبل وصدق رسول الله ﷺ، من خلال هذه الأحاديث وغيرها نجد أن الإسلام يجعل من العلم قربى إلى الله ويجعل منه عبادة لله، إنه سبحانه يجعله مرتبطًا باسمه سبحانه وتعالى، وكان هذا أول أمر وتكليف أوحى الله به إلى سيدنا محمد ليبلغه إلى العالمين، يقول تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ **العلق**: ١ - ٥

مما لا شك فيه أن الأمر بالقراءة والعلم يكون أول أمر وتكليف إلهي، فهذا يوضح ويؤكد بما لا يدع مجالاً للشك مكانة العلم في الإسلام وضرورة الأخذ بالمنهج العلمي وطلب العلم ولو في الصين أي لو كان في أقصى وأبعد نقطة في الأرض، أما إذا بحثنا في علاقة الإسلام كدين بالعقل والعلم فإننا نجد هذه العلاقة في[1]:

١. جاء الإسلام هادياً للعقل في المسائل الغيبية غير المحسوسة وما يسمى بما وراء الطبيعة، وهي الأمور الخاصة بالعقائد والإيمان بالملائكة والبعث واليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار، والغيب والجن والروح.

٢. بعث الله النبيين ينشرون مكارم الأخلاق والفضيلة والخير، وجاء محمد (صلى الله عليه وسلم) متمماً لهذه المكارم ليهتدي الناس لما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان ليكون شخصية سوية صالحة وإيجابية في مجتمعه.

٣. من حيث التشريع نجد أن التشريع الإلهي نظم المجتمع ولا يوجد من التشريع ما يأباه العقل المستنير اليقظ، وكل تشريع وضعه الله تعالى وضعه لحكمة وما علينا إلا البحث لمعرفة هذه الحكمة.

١) عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، (القاهرة: دار المعارف، ط٣، د.ت) ص ١٧-٣٠.

٤. أنار الله للإنسان طريق الخير وأعلمه عاقبته وأنذره من طريق الشر ومن عاقبته، لكنه ترك له حرية الاختيار وسيحاسب على عمله وما اختاره لنفسه.

٥. لا تتعارض في الدين الغاية مع الوسيلة فلا يحدث شك أو تردد.

٦. جاء القرآن ليقود الإنسان نحو الكمال والسعادة والرضى والرقي بالجانب الروحي والنفسي والعقلي معًا.

٧. إن الإسلام فتح أمام الإنسان باب عبادة التدبر والتفكر، لكنه أمره بالإيمان بالأمور الخارجة عن نطاق العقل البشري، ذلك أن تصور العقل البشري محدود التصور ولا يرقى أبدًا لاتساع حكمة وإبداع الخالق.

* * * * *

بعض القضايا التي تظهر فيها وسطية الإسلام:

إن الإسلام جاء رحمة بالناس وللناس، ولذلك كلما درسناه وفهمناه نؤمن به أكثر ونتمسك به أكثر، لذلك نجد الدعوة لفهم هذا الدين أمر ضروري لمن يريد أن يفهم ويتعقل ويؤمن، ونظراً لأن لكل دعوة أعداء ومشككين فإن خصوم الإسلام شككوا في وسطيته وعدالته بأن أوّلوا بعض الأحكام والآيات والتشريعات تأويلاً خاطئاً بُني هذا التأويل على رغبتهم في إلصاق أمور في هذا الدين هي ليست منه في شيء، وظنوا أنهم وجدوا ضالتهم في عدة قضايا رد عليها العلماء والمُفسرون ردوداً تضحد زعمهم، ومن هذه القضايا التي يثيرها المشككون والمستشرقون حول الإسلام ظناً منهم أنها مواطن ضعف لهذا الدين:

(١) الحدود كعقوبات هل تجعل الإسلام دين عنف؟

(٢) إباحة تعدد الزوجات وجمع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين أكثر من أربع زوجات.

(٣) عدم المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث.

(٤) الفرق بين الجهاد كمفهوم إسلامي والعنف كسلوك عدواني.

وقد اختارت الباحثة هذه الموضوعات والقضايا لتوضيح أن من يظن في هذه الموضوعات والقضايا أنها تثير شبهات حول الإسلام وأنها مواطن تثير الشكوك في هذا الدين، إنما هي مواضع تظهر قوة الإسلام وسماحته وما يثار من شبهات حول هذه القضايا إنما هو من قبيل الجهل وعدم الفهم الصحيح للإسلام.

(١) الحدود كعقوبات في الإسلام: هل تجعله دين يدعو للعنف؟

إن المتربصين بالإسلام من الغرب والشرق يصفون العقوبات في الإسلام بأنها عقوبات وحشية لا يمكن تطبيقها في القرن العشرين؛ فالمجرم قد يكون ضحية لتقصير المجتمع في دوره تجاهه، فهذه العقوبات التي تهين الإنسان وتشوهه -من وجهة نظرهم- هي عقوبات وحشية وضعها دين يتسم بالعنف، وهذا فهم خاطيء أساسه الجهل بحكمة هذه الأحكام والعقوبات، ولتوضيح هذه الأحكام لا بُدّ من معرفة أن الفقهاء قد اصطلحوا على تقسيم كل فعل محرم إلى قسمين[١]؛ القسم الأول: يسمى بجرائم الحدود والحدود هنا تشمل (الزنا، والقذف، والسرقة، والسكر، والمحاربة، والردة، والبغي)، والقسم الثاني: يسمى بجرائم القصاص أي القتل،

١) السيد سابق، فقه السنة، (القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي، المجلد الثاني، ٢٠٠٩) ط ٢١، ص٣٢٧.

لكن أغلب المتحدثين عن العقوبات في الإسلام يجملون القسمين تحت مسمى الحدود، وقبل توضيح تشريع الإسلام للعقوبات والحدود لا بُد من توضيح موقف القصاص والعقوبات في قبائل العرب قبل ووقت نزول الإسلام، فقد قام نظام القصاص في العرب على أساس أن القبيلة كلها مسئولة عن الجناية التي يقترفها فرد من أفرادها إلا إذا خلعته وأعلنت ذلك في المجتمعات العامة حتى لا يطالب ولي الدم بالقصاص من أفراد قبيلة هذا الجاني، وأحيانًا كانت تقوم الحروب بين القبائل بسبب قاتل هو سيد في قومه تسترت عليه قبيلته مما يؤدي إلى حرب طاحنة تزهق فيها الكثير من الأرواح البريئة، وكذلك الوضع في السرقة فإذا سرق فيهم الشريف (الغني) تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وكان عرض الإماء والضعفاء مستباح في حين تقوم الحروب بين القبائل للدفاع عن شرف الحرائر والشريفات (التفريق في العقوبة على أساس الأسياد والعبيد)، وهكذا الحال في كل الجرائم حق الضعيف مهضوم وحق القوي تسفك لأجله دماء الأبرياء، في حين أن الإسلام كفل للإنسان تحقيق احتياجاته وأخذ حقوقه بطرق مشروعة وشرعية، فوضع للفقير (مثلاً) الحق في الإنفاق من بيت مال المسلمين وحق في الزكاة فلا يضطر الفقير للسرقة، وكفل للمسلم العاقل البالغ الزواج وأمر بالتيسير فيه وفي نفقاته.

وقد أباح له أيضًا تعدد الزوجات بشرط العدل بينهن حتى يكفل للمسلم إشباع رغباته بالحلال ويجنبه ارتكاب الفاحشة (الزنا)، ونهى الإسلام المسلم عن كل شراب يذهب عقله وصحته حتى يعي ما يقول ويفعل وحتى يجنبه الوقوع في كافة الموبقات والفواحش، من خلال هذه الأمثلة نجد أن الإسلام قد عالج قضايا الانحراف قبل أن تقع، فإذا التزم المسلمون بهذه الضوابط انضبط المجتمع دون توقيع حدود أو عقوبات قاسية، ومن ناحية أخرى نجد أن العقوبات في أي قانون وضعي لا بد أن تكون رادعة زاجرة حتى لا يكرر المجرم الجريمة مرة أخرى ولا يتبعه غيره فيها، فرجم الزاني والزانية في وجود شهود هذا مقصود به حفظ الأعراض وحفظ المجتمع من اختلاط الأنساب والتحكم في الرغبات والشهوات وعدم الانقياد لها إلا في الحلال، وإذا نظرنا إلى عقوبة السرقة نجد أنها عقوبة رادعة لمن استباح مال غيره دون وجه حق، فمن قد يستغني عن يده في مقابل أي مبلغ كان من المال أو الذهب، ونجد أن عقوبة السجن مثلاً لم تردع ولم تقضِ على انتشار جريمة السرقة بل زادتها انتشارًا وزادت المنحرفين استهتارًا، أما عقوبة النفس بالنفس أي القصاص في القتلى فإن معظم دول العالم المتقدم الآن تطبق عقوبة الإعدام على القاتل إذا ثبت عليه سبق الإصرار على إزهاق نفس المقتول.

وحتى يجنب الإسلام المجتمع بحورًا من دم أبرياء ليس لهم ذنب في جريمة القتل قال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ البقرة: ١٧٨ -١٧٩

نعم لكم في القصاص حياة يا أولي الألباب؛ فالقصاص لا بد أن يكون الجرح بنفس القدر ونفس الألم والنفس بالنفس ولا تزر وازرة وزر أخرى أي أخذ الحق من مغتصبه والقصاص من القاتل وليس من ابنه أو أبيه أو أخيه، ومعنى سيئة بمثلها المثلية هنا تعني عدم الظلم والجور على حقوق الغير؛ من هنا نرى أن الإسلام لا يقرر الحدود جزافًا وأنّ هذه العقوبات مقيدة بشروط وأركان لا بد من توافرها جميعًا بالبينة القاطعة وإلا سقط الحد، أو انتقل إلى عقوبة التعزير (عقوبة التعزير هي عقوبة كل معصية لا حد فيها ولا كفارة، أو سقط أحد الشروط الموجبة لإقامة الحد، والتي لم تحدد له شريعة عقوبة محددة وإنما تركت أمره إلى رأي الحاكم حسب المصلحة التي يراها.

والصحيح أنه تختلف عقوبة التعزير باختلاف الزمان والمكان، ويجوز أن يقدّر فيه الحاكم عقوبة الحبس إذا رأى أن المصلحة في ذلك[1]، إذا كان ثبوته لم يبلغ اليقين مبلغ الثبوت الواجب لإقامة الحد، ولا يطبق الإسلام الحدود حتى يضمن أولاً: أن الشخص الذي ارتكب الجريمة قد ارتكبها دون مبرر أو شبهة اضطرار، فهو يقرر مثلاً قطع يد السارق ولكنه لا يقطعها أبدًا وهناك شبهة بأن السرقة نشأت عن الجوع الشديد، وكانت بالقدر الذي يسد رمقه ويقيم عوده.

فقد ثبت أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم ينفذ حد السرقة في عام الرمادة (عام المجاعة)، والإسلام أيضًا يقرر رجم الزاني والزانية ولكنه لا يرجمهما إلا إذا كانا محصنين وإلا إذا اعترفا، أو شهد عليهما أربعة شهود بالرؤية القاطعة، يعني ذلك أنهما شخصان سقط عنهما الحياء حتى أنهما يمارسان الرذيلة وهما متزوجان ويراهما كل هؤلاء الشهود، إذن فإن عقوبة الزنا قصد بها الزجر والردع أكثر من ما قصد بها التنفيذ والفعل، وفيها أيضًا الحفاظ على سمعة الإنسان وكرامته من مجرد شائعات يثيرها أصحاب النفوس الضعيفة حوله انتقامًا منه لنقيصة لديهم.

---

١) عبد المنصف محمود عبد الفتاح، دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام، (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٤) صـ٥٦-٦١.

وعقوبة من يشرب الخمر ويسكر ويضيع عقله وماله وصحته هي الجلد وذلك لأن ضياع العقل وغيابه بشرب المسكرات والمخدرات يؤدي إلى كل فاحشة وارتكاب كل فعل محرم، ولعل أبلغ مثل على ذلك ما نراه ونقرأه يوميًا من أخبار الجرائم وانتهاك الحرمات وضياع الأنفس والأموال والأعراض بسبب غياب العقل عن رشده بسبب المسكرات والمخدرات، فحفظ الإنسان لعقله يقظًا لا يضمن حقوقه فقط، وإنما يضمن ويحمي المجتمع ككل، ولتنفيذ كل حد من حدود الله شروط صارمة قاطعة، ويسقط الحد إذا لم تتحقق هذه الشروط وفي هذا رحمة بالإنسان وحفظ لكرامته وحرمته من الشكوك والشبهات وظن السوء، ولا يثبت الحق إلا بالدليل الذي لا يتطرق إليه الشك، فإذا تطرق إليه الشك كان ذلك مانعًا من اليقين الذي تبنى عليه الأحكام، فروى ابن ماجة عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعًا"، وروى الترمذي عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: "ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم؛ فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة"[1].

١) أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح –سنن الترمذي، ج٤، (لبنان: دار الكتب العلمية) ص٢٥

ورغم ما قيل في هذا الحديث من وقف على بعض الرواة، أو أن هناك راوٍ في إسناد الحديث ضعيف، إلا أن بعض علماء الحديث احتجوا به على مشروعية درء الحدود بالشبهات، حيث إن الشك يوجب التعزير، فلا يقام الحد إلا بثبوت انتهاك الحد ثبوتًا لا شبهة فيه، فالإمام إن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة ويصيب بريئًا بظلم، من هنا نجد أن الحدود في الإسلام قاسية ورادعة لمن لا يحترم المجتمع والأمة وقوانينها التي وضعها الله سبحانه، وذلك لتصان الأنفس والأموال والأعراض وتحفظ العقول والأنساب ويستتب الأمن في ربوع الوطن الإسلامي، وفي الوقت نفسه نجد أن القوانين والدساتير الوضعية لم تعالج أسباب الجريمة قبل وقوعها ولم تردع عقوباتها المنحرفين بعد وقوع الجرائم، لذلك نجد أن الجرائم والانحرافات لم تتوقف في الدول التي لا تطبق الحدود التي وضعتها الشريعة الإسلامية، وإنما هي في ازدياد وتفاقم، وهذا يعني عدم نجاح القوانين والعقوبات الوضعية في مهمتها لردع وزجر المنحرفين والمجرمين.

* * * * *

أخرجه الترمذي في كتاب الحدود، باب درء الحدود برقم ١٣٤٤، وذكر الترمذي أنه روي موقوف وأن الوقف أصح، وقد روي عن غير واحد من الصحابة –رضي الله عنهم– أنهم قالوا مثل ذلك، والبقيهي في السنن الكبرى، كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الحدود بالشبهات ٨/٢٣٨.

(٢) إباحة تعدد الزوجات وجمع الرسول ﷺ بين أكثر من أربع زوجات:

ترى الباحثة أنه بالمنطق العقلي والتفكير المنطقي لحسم أي جدال حول قضيةٍ ما أو أمر مستحدث في مجتمع ما لا بُد وأن ننظر لحال هذا المجتمع قبل هذا الأمر المستحدث وبعده، حتى نتمكن من حصر مميزات وعيوب هذا الأمر المستحدث، ومن خلال هذا المنطلق وبنفس النظرة نبحث في ما أثاره بعض المستشرقين والمشككين في انتهاك الإسلام لحقوق المرأة بإباحته لتعدد الزوجات ليكون للرجل زوجتان وثلاث وأربع، وبغض النظر عن أن هؤلاء المستشرقين لم ينظروا إلى حكمة هذا التعدد ولم ينظروا أيضًا للحقوق التي كفلها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان قبل أن يكون هناك منظمات حقوقية أو مواثيق دولية تكفل للمرأة حقها كإنسان في كل جوانب الحياة، بغض النظر عن هذا كله فلننظر إلى المجتمع العربي الذي جاءت فيه الشريعة الإسلامية، حيث كانت المرأة تباع وتشترى وتورث كالمتاع والبهائم، أما الزواج فكان أشكالاً وأنواعًا تضيع فيه الأعراض وتختلط فيه الأنساب، فمن هذه الأنكحة التي هدمها الإسلام نكاح الخِدن، ونكاح البدل (يتبادل الرجلان زوجتيهما)،

ونكاح الاستبضاع (يطلب الرجل من زوجته عندما تطهر أن ترسل لرجل آخر فتعاشره معاشرة الأزواج ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها ثم يعود إليها إن أحب)، ونكاح الرهط فيجتمع الرجال ما دون العشرة عند المرأة كلهم يختلي بها ويصيبها فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم جميعًا ونسبت رضيعها لمن تريد منهم ولا يقدر أن يمتنع، ونكاح البغايا أو صاحبات الرايات الحمر كما كان يطلق عليهم العرب، وكان هناك أيضًا نكاح الناس اليوم الذي أقرّه الإسلام وهو أن يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها[1]، إذن لم يكن من أشكال الزواج شكل صحيح إلا هذا النوع الذي أقرّه الإسلام بأن يختار الرجل امرأة يخطبها من أهلها ويتزوجها برضًا منها ومن أهلها، وأولاده منها ينتسبون إليه ويلتزم بالإنفاق عليهم ورعايتهم وتربيتهم، ولم يكن حال المرأة في بلاد الفرس والروم والعجم بأحسن حالاً منه في قبائل العرب، فقد كانت المرأة أقل مكانة من الرجل حتى وضعها بعض المفكرين والفلاسفة اليونانيين في مكانة الحيوان وأثاروها قضية جدلية هل المرأة حيوان أم إنسان؟!

١)السيد سابق، فقه السنة، مرجع سابق، ج٢، صـ (٥٠٦).

تعدد الزوجات قبل الإسلام:

نشير هنا إلى بعض الأمثلة البسيطة التي توضح أن كل الديانات والحضارات السابقة للإسلام أباحت التعدد بعدد وبدون عدد، ولم يأتِ الإسلام بأمر غير مسبوق في تعدد الزوجات وإنما جاء بأمر غير مسبوق في تنظيم هذا التعدد ووضعه وفقًا لمبررات وأسباب شرعية وشروط تكفل للمرأة كرامتها وحقوقها وحياتها، ومن هذه الأمثلة على تعدد الزوجات قبل الإسلام:

١- كان الإسرائيليون يبيحون التعدد ويكثرون من النساء، فلما جاء موسى لم يحظره عليهم ولم يضع قيدًا عليه، بل أوجب على الأخ الذي مات أخوه وليس له ولد أن يتزوج امرأته وإن كان متزوجًا[١].

٢- وكانت تعاليم زرادشت تخوّل الفرس أن يعددوا زوجاتهم وأن يتخذوا الحظايا والخليلات؛ لأن الشعوب المحاربة في حاجة دائمة إلى الفتيان، ولذلك عدّد الفُرس الزوجات ولم يكن عندهم قانون يمنع التعدد أو يحدده، وكذلك الرومان تعددت لديهم الزوجات دون قيد أو شرط أو تحديد، ويكفي أن نشير إلى كل من الإمبراطور والقيصر وغيرهم من أمراء الفرس والرومان كان لدى كل منهم زوجتان وثلاث وأربع وخمس.

---

١)سفر التثنية ٥/٢٥.

٣- وكذلك الأمر عند اليونان فقد كان مُصرحًا للأثيني أي عدد من النساء، وكانت بعضهن زوجات شرعيات وأخريات غير شرعيات[١].

٤- أما المسيحية فلم يكن التعدد فيها محرمًا؛ لأن المسيح عليه السلام جاء مكملاً لشريعة موسى لا ناقضا لها[٢]، لهذا أقر التوراة على إباحة التعدد، إذ لم يرد في العهد الجديد نهي عنه أو تعرض له.

من خلال هذا العرض الموجز لقضية تعدد الزوجات نجد أن الإسلام كان أول دين ينظم شئون الزواج، وحدد تعدد الزوجات يقيود وشروط قاسية عند وجود مبرر للتعدد وبشروط، أي أن الإسلام حدد ووضح الأسباب الشرعية لتعدد الزوجات ولم يتركها مطلقة لهوى الرجل وشهوته وغريزته كما كانت قبل الإسلام، وإنما بضوابط وأسباب شرعية؛ ثم إذا وُجدت الأسباب كمرض الزوجة مرضًا لا شفاء منه أو أنها عاقر لا تلد أو غير ذلك من الأسباب التى أوضحها الشرع يأتي دور شروط وقيود تعدد الزوجات من توفر: القدرة الصحية والمالية للزوج، والعدالة المطلقة في المعاملة، والرعاية والعطف والميل بين الزوجات[٣].

---

١) أحمد محمد الحوفي، سماحة الإسلام، مرجع سابق،١٢٠-١٢٢.

٢)إنجيل متى ١٧/٥.

٣) محمد عطية الإبراشي، عظمة الإسلام، مرجع سابق، ص٢٢٣،٢٢٢.

وإن لم تجد في نفسك أيها الرجل توفر هذه الشروط وجب عليك أن تكتفي بزوجة واحدة حتى لا تظلمها، فقد قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ النساء: ٣

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ النساء: ١٢٩

إن العدالة بين الزوجات ليست بالأمر اليسير تحقيقه، لقد ظن خصوم الإسلام أنهم وجدوا مبتغاهم حينما أثاروا السؤال:

لماذا جمع محمد بين أكثر من أربع زوجات رغم أن الإسلام نهى عن ذلك وحرمه؟

ظنوا بهذا أنهم وجدوا مبتغاهم لتشويه الصورة النبوية والنموذج الإنساني المثالي في النيل من نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، لكن هناك عدة نقاط تدحض هذا الافتراء هي:

١) إن تحديد الإسلام لتعدد الزوجات بأربع جاء بعد أن أتم زواج النبي ﷺ بكل زوجاته رضوان الله تعالى عليهن ولم يكن سابقًا عليه، وهنا يثار السؤال: لماذا لم يمسك النبي أربعًا منهن على ذمته ويطلق الباقيات؟

الإجابة على هذا السؤال في نقطتين، الأولى أن الله سبحانه وتعالى حرم عليه النساء من بعدهن ولا يحل له استبدال زوجة من زوجاته، والنقطة الأخرى أن زوجات النبي هن أمهات للمؤمنين ويحرم عليهن الزواج بغيره ﷺ ، فلم يكن من العدل أن يحرمن من بقائهن زوجات لرسول الله ﷺ ويحرمن أيضًا من الزواج من بعده ويظللن وحيدات طوال عمرهن.

٢) إن الزوجة الأولى للنبي ﷺ هي السيدة خديجة (رضي الله عنها) هي أحبهن إلى قلبه ولم يتزوج غيرها حتى توفاها الله، وهي أم أولاده، وقد تزوجها قبل بعثه نبيًا ورسولاً، وقد زوجه الله سبحانه وتعالى من زينب بنت جحش ليُحرِّم عادة في الجاهلية هي التبني، حيث إنها كانت زوجة لمولاه زيد بن حارثة، وبعد أن طلقها زيد، أمر الله سبحانه نبيه بالزواج منها، وكانت بعض زوجات الرسول ﷺ كبيرات في السن أي لم يتزوجهن عن رغبة في النساء أو غير ذلك ولكن تزوجهن ليكفلهن بعد موت أزواجهن وترملهن، منهن (زينب بنت خزيمة بن الحارث، أم سلمة هند بنت أمية المخزومية، سودة بنت زمعة بن قيس العامرية)[1]، ولتوضيح حكمة التشريع الإلهي في اختلاف هذا الأمر بأن يكون للرسول خصوصية فيه عن باقي المسلمين.

١)عبد المنصف محمود عبد الفتاح، شبهات ومفتريات حول الإسلام، مرجع سابق، صـ ٦٧-٧٤.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ۝٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣ ﴾ **الأحزاب: ٥٢ - ٥٣**

إذن فمن خلال هذه الآيات نجد خصوصية الأمر والتشريع الإلهي لرسول الله ﷺ دون كل المسلمين، فأي مسلم يحق له الزواج بأربع إن توفرت له الأسباب والشروط وإن توفين أو طلقهن له أن يتزوج بأخريات، وكذلك من يطلقها زوجها أو يتوفى عنها لها حق الزواج بغيره بعد انقضاء عدتها هذا حقها، أما أمهات المؤمنين زوجات الرسول فلا يحل لهن ذلك، فكان من أبسط حقوقهن أن يظللن زوجات لرسول الله ﷺ.

* * * * *

(٣) عدم المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ﴾ النساء: ١١

إن الله سبحانه وتعالى حينما أمر بأن يكون ميراث الأنثى من الأبناء نصف ما يرثه الذكر منهم لم يكن مقصودًا به التفريق بين الأبناء أو التقليل من شأن الأنثى، وإنما أمر بذلك ليقام العدل، حيث أمر الرجل بالإنفاق على زوجته وأمر الأب بالإنفاق على ابنته وأمر الأخ بالإنفاق على أخته ما دامت لم تتزوج، لكنه كفل لها ذمة مالية مستقلة أي قد يكون لديها المال لكنها شرعًا غير مأمورة أو مكلفة بالإنفاق إلا برغبتها وعن رضا منها، إذن فكيف للرجل والمرأة أن يتساويا في الميراث ولا يتساويا في الإنفاق؟ هل هذا عدل؟

بالطبع إن الله سبحانه وتعالى هو من وضع التكليف وهو من أمر بالعدل والقسط، ولذلك لم يتساوَ الرجل والمرأة في الميراث لأنهما غير متساويين في التكليف والأمر بالإنفاق، فالرجل مأمور بالإنفاق بداية من المهر والصداق ثم الإنفاق على زوجته والإنفاق على الأبناء حتى أنه مأمور بالإنفاق على زوجته التي طلقها، ومأمور بالإنفاق على زوجته التي قد تكون أكثر مالاً منه، ويتضح ذلك في الآيات الكريمة: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧ ﴾ **الطلاق: ٦ – ٧**

ويوضح الله تعالى حق المطلقة في النفقة بعد الطلاق في سورة البقرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١ ﴾ **البقرة: ٢٤١**

ومن الواضح في الآية الكريمة في سورة النساء أن للذكر مثل حظ الأنثيين في الأبناء فقط، أما كون المرأة أمًا أو زوجة أو أختًا فهي حالات مختلفة لكل منها نصيب مختلف من الميراث وفق اختلاف عدد وطبيعة الوارثين، من هنا يتضح أن كل شبهة افتراها خصوم الإسلام لا تؤخذ على علتها ولا ظاهرها، ودحض هذه الافتراءات يتضح من الفهم الصحيح لحكمة الإسلام ووسطيته واعتداله وسماحته.

* * * * *

(٤) الفرق بين العنف كسلوك عدواني والجهاد كمفهوم إسلامي:

إن الإسلام حين جاء حرّم على المسلم الاعتداء على غيره بأي شكل من الأشكال سواء الاعتداء اللفظي (المعنوي) أو الاعتداء الجسدي، سواء كان هذا الاعتداء من مسلم لمسلم أو من مسلم لغير مسلم، فقد قال الله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ **المائدة: ٣٢**

وأوصانا الله بهذا في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ **الأنعام: ١٥١**

وتحريم القتل هنا ليس قاصراً على قتل المسلم وإنما هو تحريم لقتل أي إنسان أيًا كان دينه طالما أنه لم يعتدِ عليك، فعن عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا داود يعنى بن قيس عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"[1]، وعن آدم بن أبي إياس قال: حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي السفر وإسماعيل عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:

"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، وفي رواية أخرى روى سعيد بن يحيى بن سعيد القرشي قال: حدثنا أبو بردة بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى رضى الله تعالى عنه قال: قالوا يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"[2]، إذن فالعدوان والعنف على الغير أيًا كان دينهم حرام طالما أنهم لم يعتدوا على أحد، ومن يبحث في مسألة الحدود والعقوبات في الإسلام يجد أنها شُرِّعَت لحماية النفس والمال والعرض، فلحماية النفس من القتل شُرِّعَ القصاص، فالنفس بالنفس ومن قتل يُقتل، ولحماية المال من السرقة شُرِّعَ قطع اليد كحد للسرقة، ولحماية العرض شُرِّعَ الجلد والرجم.

---

١) أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤) ج٤، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، صـ ١٨٩.

٢)أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، صـ٧.

إذن فهذه العقوبات الرادعة تحمي المسلم وغيره، ومن جانب آخر من يبحث في تاريخ الدولة الإسلامية في أوج مجدها لا يجد حملات تطهير عرقي أو ديني مارسها المسلمون على غيرهم في البلاد التي فتحوها أو تجاه الديانات الأخرى في بلادهم، بل على العكس نجد أن المسلمين أول من وضعوا المواثيق والمعاهدات التي تحفظ لليهود والنصارى دماءهم وأموالهم ودور عباداتهم، على عكس ما فُعل بالمسلمين بعد ذلك في مرحلة ضعف دولتهم من مذابح وتطهير ديني وقع في إقليم كشمير، والبلقان وبلغاريا والأندلس وغيرها.

أما الجهاد كمفهوم إسلامي فقد شرعه الله تعالى ليدافع المسلمون عن أنفسهم العدوان ولحماية دولتهم ومحاربة من يحاربهم، ولا يستطيع أي منصف أن ينكر الدور البارز الذي لعبه الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية من خلال الغزوات والفتوحات الإسلامية، لكن هناك سؤال مهم هو: هل انتشر الإسلام بحد السيف والإكراه الجسدي أو المعنوي؟ الاجابة على هذا السؤال تكمن في قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

إذن فدور هذا الدين هو إنارة طريق الخير أمام من يريد وإعلام الناس بالحق وإنذار من يتبع الضلال ويخالف أوامر ربه بسوء العاقبة، إذن فالإسلام دين قناعة وفكر وليس دين ترهيب وقمع، وقد قال الله لنبيه: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ الشورى: ٤٨

ومن الجدير بالذكر هنا أن الجهاد لم يشرع للمسلمين حتى اعتدت عليهم قريش أولاً وجارت عليهم فكان لا بُد من أن يدافع المسلمون عن أنفسهم ودولتهم الوليدة في المدينة، وقد أمر الله المسلمين بالجهاد لنصرة المستضعفين في الأرض ولنصرة دينه:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٣٩ - ٤٠

إذن فقد تم الاعتداء على المسلمين فكان خيار الحرب والجهاد هو من منطلق الدفاع عن المسلمين ضد الاعتداء وحماية الدولة الوليدة في المدينة المنورة، ولكن قبل ذلك أمر الله رسوله بدعوة الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبالرفق والمنطق والعقل.

ومن خلال ذلك نرى توفر جوانب الدعوة الصحيحة القوية من منطق وفكر ووجدان لنشر العقائد والأفكار، هذا إلى جانب إعداد القوة للدفاع عن هذه الدعوة ضد المغيرين والطامعين والظالمين، ولا يُنقص أي من الجانبين قوة الجانب الآخر، إنما كل منهما يلازم صاحبه ويتبعه.

إن فكرة انتشار الإسلام بالسيف فكرة خاطئة وذلك لعدة أسباب منها أن من اتبع الإسلام في بدايته تعرضوا للتعذيب والإيذاء والتهجير والمقاطعة فانتصر الإسلام بصبرهم وأخلاقهم فكانوا خير دعاة وسفراء للدولة الوليدة الجديدة[1]، وهناك أمر آخر هو كيف انتقل الإسلام وانتشر في المدينة المنورة حتى قبل أن يهاجر الرسول ﷺ وصحابته إليها؟ هل انتشر بالقوة؟ إن ما يدحض هذا الافتراء أنه لم تكن للمسلمين أي قوة باستثناء قوة عقيدتهم وفكرهم وصحة إيمانهم، إن من يدعي أن الإسلام انتشر بحد السيف لم ينظر إلى عدد المسلمين في الهند وإندونيسيا والصين وباكستان بعد انتهاء عصر الفتوحات الإسلامية بمئات السنوات، أفلا ينظر إلى عدد المسلمين في هذه الدول وتزايد عدد المسلمين في أوروبا وأمريكا مما نشر الخوف من أسلمة أوروبا أو ما يسمى بالـ"إسلاموفوبيا" حيث تشير بعض الإحصائيات إلى أن ٢٠-٣٠% من الأوروبيين الذين تقل أعمارهم عن ٢٥ سنة يخدرون من أصول عربية إسلامية.

١) محمد عطية الإبراشي، عظمة الإسلام ج٢، (القاهرة:هيئة الكتاب،٢٠٠٢) صـ٧-٢٠.

كما تشير إلى أن عدد المسلمين وصل إلى نحو ٢٦ مليون مسلم في الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي[١].

إذن فمن غير المنطقي أن يكون الإسلام انتشر بحد السيف والفتوحات الإسلامية، وبالرغم من أن المسلمين الآن يعيشون حالة من الضعف بسبب بعدهم عن دينهم وقصورهم في فهم هذا الدين وتطبيقه في حياتهم، بالرغم من ذلك نجد أعداد المسلمين خاصة في الغرب تزداد يومًا بعد يوم بالحجة والبرهان والإقناع، فمن المعروف عن الغرب أن العقل والمصلحة والمنطق تسبق المشاعر والانسياق العاطفي، فمن الطبيعي ألا يترك شخص دينه ويتجه لدين جديد إلا بعد بحث وتفكير وتدقيق في كل جوانب هذا الدين من عقائد ومعاملات وتشريعات، هذا من جانب، أما لو عدنا إلى الفتوحات الإسلامية لوجدنا أن هدفها الأساسي كان رفع الظلم عن المستضعين في الأرض حتى لو كانوا يهودًا أو نصارى، فلننظر مثلاً إلى بيت المقدس مطمع الغرب قديمًا وحديثًا، لنجد عهد بيت المقدس الذي وضعه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، نجد أنه أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضارّ أحد منهم،

١) سعيد اللاوندي، الإسلاموفوبيا لماذا يخاف الغرب من الإسلام، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦) ص٧.

وحتى حينما استعاد صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين الذين نهبوه وخربوه أعطى الأمان لأهلها وكنائسهم وأنه لا يكره أحد على دينه، هل هذا إذن دين انتشر بالسيف والقوة؟ أم أنه دين انتشر بالسماحة والرحمة؟

* * * * *

الفصل الثاني

وسطية الإسلام على منابر الإعلام

- تمهيد.
- الفرق بين الدعوة والدعاية.
- المسئولية الإعلامية فرض عين على كل مسلم.
- خصائص الإعلام الإسلامي.
- القنوات الدينية المتخصصة.
- البرامج الدينية بالفضائيات وعلاقتها بمفهوم الوسطية.
- أهداف البرامج الدينية.
- المعوقات التي تعيق قيام البرامج الدينية بالقنوات الفضائية بدورها الإعلامي والدعوي.
- البرامج الدينية.
- صورة وسطية الإسلام المقدمة في البرامج والفقرات الدينية بالفضائيات وعلاقتها باتجاهات المراهقين نحو مفهوم الوسطية.

تمهيد

قال تعالى في أول أمر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولأمة المسلمين كافة في أول سورة أنزلت من القرآن الكريم:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ **العلق**:١-٢

وفي ذلك دعوة صريحة للقراءة والتعلم والمعرفة، وكل علم هدى اللهُ الإنسان له ووصله الإنسان بغاية تُرضي ربه اتصل، وكل علم لم تكن غايته رضا الله سبحانه انقطع وانتهى وأصبح كأن لم يكن، ومن أولى الأمور بالبحث والمعرفة أن نعرف أمور ديننا حتى نتمكن من مواجهة التطرف الفكري والتعصب الديني وننشر دعوة الإسلام للحرية الدينية والفكرية، فنحن جميعًا بشر ليس لأحد منا الحق في إجبار غيره على اعتناق دين معين أو فكر معين أو اتجاه معين، أو الحكم على غيره من الناس، فالله وحده هو الهادي وهو الذي سيحاسب خلقه ويحكم عليهم وليس لأحد منا نحن البشر ذلك، ولكننا نعيش الآن حالة من التعصب الديني والفكري في العالم كله، ونظرًا لأهداف سياسية وأطماع استعمارية يتم إلصاق التعصب والتطرف الديني والفكري بالإسلام والمسلمين، وما يزيد الأمر سوءًا سلوك بعض المسلمين الناتج عن فهم خاطئ للدين وتأويل مشوّه لأحكامه وتفسير خاطئ لآيات القرآن الكريم واجتزاء للسنة النبوية المشرفة.

بالإضافة إلى خلط بين حقيقة الإسلام كدين وبين اتجاه وسلوك المسلمين، فالدين الإسلامي لا يحتاج لمن يدافع عنه لأن الله سبحانه سينصر دينه الحق ولو بعد حين، وإنما نحن المسلمين من نحتاج لأن ندافع عن أنفسنا كنتيجة لسلوكنا وعدم فهمنا الصحيح لديننا، لذلك وبعد ملاحظة الباحثة لما يدور في الساحة الاجتماعية والسياسية من استغلال للدين واستخدام بعض فئات المجتمع غريزة الناس لحب التدين للتأثير على عقولهم وقراراتهم ومصائرهم، فقد وجدت الباحثة أنه أصبح من الضروري بمكان أن ندرس ديننا الحنيف ومعرفة أسسه جيدًا ومعرفة ماهية وسطيته وخاصة تلك الصورة التي يصدرها الإعلام عن الدين الإسلامي بشكل عام، وتلك الصورة المقدمة عن الإسلام ببرامج التليفزيون بشكل خاص، ومعرفة إلى أي مدى تتطابق هذه الصورة مع وسطية الإسلام كأحد أهم وأبرز مبادئ الدين الإسلامي.

وفي أثناء بحثي واجهتني عدد من الأفكار التي ثبت أنها خاطئة، مثل الفكرة التي تخلط بين مفهومين مختلفين تمامًا هي وسطية الإسلام والإسلام الوسطي، فالأولى تعني اعتدال الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان ولكل إنسان إلى قيام الساعة، أما المفهوم الثاني فيعني أن هناك أكثر من إسلام، أي إسلام وسطي وإسلام متطرف يميناً وإسلام متطرف شمالاً وهكذا.

وهذا المفهوم الثاني كان سبباً في تجنب بعض الناس لمفهوم وسطية الإسلام، حيث وجدت من خلال استطلاعي للآراء والمناقشات عدداً كبيراً ممن تناقشت معهم وعلى اختلاف توجهاتهم يظنون أن معنى وسطية الإسلام التهاون في الأحكام والتشريعات وتنفيذها، فمثلا ليكون الإسلام ديناً وسطياً فلابد من تعطيل الحدود مثل عدم قطع يد السارق مثلاً! وهذا يتنافى مع حقيقة وسطية الإسلام، حيث إنها تعني أن الإسلام كتشريع سماوي وازن بين كل أمور وجوانب حياة الإنسان ليعيش مستقراً ليحقق غايته من الخلق.

فهو وازن بين الجانب المادي (الجسد) للإنسان وبين الجانب الروحي له، وبين أمور دينه ودنياه، وبين حقوقه وواجباته وغيرها من جوانب حياة الإنسان، والإسلام بذلك يحقق مبدأ الوسطية بين التشريعات السماوية السابقة من يهودية ونصرانية، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الإسلام ختام رسالاته فجمع فيه خير ما في الأديان السماوية السابقة مع جعله يصلح لكل زمان ومكان وشعب، فالأديان السابقة كانت موجهة لأقوام معينة في أزمنة محددة في ظروف محددة، أما الإسلام فلا حيث إنه يقدم للإنسان بكافة اختلافاته وتعدد ياته منهجاً لحياته وحلولاً لكل مشكلاته، وكذلك يحقق مبدأ الوسطية كأساس إسلامي من حيث المكان.

فمركز وبداية الإسلام يأتي من مركز العالم القديم في وسط القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، ومن حيث وسطية الزمان فالدين الإسلامي الخاتم للتشريعات السماوية السابقة جاء ليتمم التشريعات السابقة وصالح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، فوسطية الإسلام هي اعتدال بين المثالية والواقعية، فقد وضع الإسلام أسسًا لحياة الإنسان في الدنيا وحياته في الآخرة، ويمكن تعريف الوسطية باستنباط ذلك من نصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها، فهي تعني: الموقف المعتدل بين طرفين بحيث لا يطغى أحد الطرفين عن الآخر، وهي تقف الموقف الذي يقتضيه الميزان القسط، ولا تسمح بطغيان طرف على الآخر، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير، وإنما هو القسطاس المستقيم بين المادية والروحية، والواقعية والمثالية، والفردية والجماعة والتوازن بين هذه الأطراف والاعتدال بينها، والصراط المستقيم بعيدًا عن الطرق المنحرفة يمينًا بالتشدد والقسوة ويسارًا بالجحود والتمرد والإلحاد، فالإسلام ليس عقيدة مادية دنيوية جافة وليس رهبانية وانقطاعًا للعبادة وترك أمور الحياة، فهو عقيدة ودين يجعل التوسط فضيلة في شئون الدين والدنيا، ولكن من المؤسف أن الأمة المكلفة بذلك فرطت في البلاغ والتعليم، بل فرطت في العمل والتأسي بينها وبالغت السير في الطرق المنحرفة يمينًا في التشدد والتطرف والتعصب ويسارًا بالنكران والإلحاد والجحود.

والأمة الإسلامية لكونها أمة وسطا لها مسئولية ربانية مكلفة بأن تحمل أكمل منهج وأقومه في العقيدة والأخلاق والتشريع إلى بقية المجتمعات الإنسانية، مكلفة بدعوة الأمم الأخرى إلى الصراط المستقيم، منهج الله الذي يضمن للإنسان والمجتمع الحق والخير ويحقق له السعادة، وذلك بالأساليب والطرق الحكيمة الرشيدة التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها في قوله تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ **النحل**: ١٢٥

وكذلك بالقدوة بأن يصبح المجتمع الإسلامي مجتمعًا سليمًا يحقق لأهله وللبشر جميعًا الحق والخير والسعادة والاستقرار، خصوصًا في الأوقات والظروف التي يزداد فيها الانحراف والبعد عن المنهج الرباني ويكثر فيها العنف والتطرف وتشويه صورة الإسلام الحقيقية والنيل منه، فالإسلام دين الوسطية في جميع مرافق الحياة من الشعائر والسلوك والإنفاق، وأنه ليس دين الشدة، فالوسطية والاعتدال هما وجهان لأمر واحد، والتيسير جزء من الاعتدال، ففي حديث للرسول ﷺ عن اليسر في الدين الإسلامي روى البخاري في صحيحه:

حدثنا عبد السلام بن مطهر قال: حدثنا عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)[1].

معنى الحديث النهي عن التشديد في الدين، بأن يحمّل الإنسان نفسه من العبادة ما لا يحتمله إلا بكلفة شديدة، ولذلك فلا بُد من معالجة أوضاع الأمة من خلال وضع خطة لإشاعة الأفكار الوسطية المستنيرة في الإسلام داخليًا وخارجيًا ووضع خطة عمل تعين الأمة على مواجهة تحديات القرن الـ٢١، فالدين الإسلامي يعارض التطرف الديني والغلو والتعصب والأفكار التكفيرية ويحترم التعددية الثقافية والدينية والحضارية وينبذ العنصرية، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وليس لإنسان الحق في الوصاية على العباد أو الحكم عليهم أو إجبارهم على دين أو فكر أو اتجاه معين، ومن الجهود المبذولة لنشر مفهوم وسطية الإسلام وسماحة الإسلام واعتداله ما يقوم به الأزهر الشريف وبعض الجهات التابعة له،

١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، ج١، (بيروت، دار ابن كثير للنشر، ١٩٨٧م) صـ١٤.

وعلى الباحثين والمفكرين دعم هذه الجهود بكل قواهم وذلك لموجهة الفكر المتطرف ومحاربته والقضاء عليه، بل على المسلمين بشكل عام أن يقدموا الصورة الصحيحة للإسلام وذلك من خلال الفهم الواعي لحقيقة الإسلام وأحكامه وتشريعاته واستقاء العلم من المتخصصين والعلماء الثقات.

* * * * *

وسطية الإسلام على منابر الإعلام

تعددت وتشعبت وسائل الإعلام، فأصبح هناك وسائل إعلام جديدة ووسائل تقليدية قديمة، وسائل إعلام جماهيرية ووسائل شخصية فردية، والهدف من كل هذه الوسائل عزيزي القارئ هو أنت للسيطرة على وعيك وأفكارك وقيادة عقلك، فمن منا الآن ليس له حساب على وسائل التواصل بكل تصنيفاتها وأشكالها؟ من منا لا يصله الخبر مسموعًا ومصورًا ومقروءًا؟

عزيزي القارئ لقد اعتلى الإعلام منابر الخطابة وأصبح هو سلاح الحرب الثقافية والفكرية ووسيلة تدمير للشعوب.
علمنا أساتذتنا في الإعلام أثناء دراستنا أنه لا بد من يكون الإعلامي محايدًا ينقل الرأي بحيادية ودون تلوين، لكن على أرض الواقع نسمع نفس الخبر بصياغات فكرية وأيدلوجية مختلفة، حيث إن كل مؤسسة أو وسيلة إعلامية تصيغ الخبر وفقًا لسياستها ومصالحها، ومع فقدان حيادية الإعلام فُقِدت الموضوعية وحرية الرأي المسئولة والتي تحمي الأوطان من فقدان الهوية.

* * * * *

الفرق بين الدعوة والدعاية

إن الإسلام دين دعوة، أي أنه دين قائم على ضرورة إعلام وإخبار الناس به وبحقائقه ورسالته من خلال وسائل وأساليب إقناعية تعتمد على الحقائق والمنطق واستخدام العقل والحجة والبرهان، ويتضح من ذلك أن الدين الإسلامي دين إعلامي يطبق أسس الإعلام بالمفهوم العصري الحديث، رغم أن الإعلام ونظرياته ووسائله عُرف بعد انتشار الإسلام بقرون طويلة، لكن بتطبيق هذه النظريات والوسائل والأسس على الدعوة الإسلامية نجد هناك تطابقًا مثاليًا بينهما، يخلو هذا التطابق من تشويه الحقائق والأكاذيب، من هنا يمكن التفريق بين الدعوة والدعاية، فبالرغم من أن الأصل اللغوي لكل منهما واحد إلا أن الدعاية تخاطب العواطف وتستند إلى الخيال وقد تعتمد على تشويه الحقائق أما الدعوة فلا، وقد اكتسبت الدعاية هذه السمات السلبية بعد الحرب العالمية الثانية، حين شوه هتلر معناها الأصيل في الحرب ضد الحلفاء على يد وزير دعايته جوبلز، أما الدعوة فهي عمل إعلامي يخاطب العقل، ويستند إلى المنطق والبرهان ويعمل على كشف الحقيقة، وإذا استعرضنا التعريف العلمي للإعلام وهو: تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة بهدف تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع.

ونجد أن الدعوة دائمًا مرتبطة بتبليغ الدين الإسلامي للناس وإعلامهم به حيث دائمًا نقول "الدعوة الإسلامية" ولا نقول "الدعاية الإسلامية"، ورغم أن استخدام الدعوة والدعاية كان استخدامًا واحدًا، إلا أن أساليب ووسائل كل منهما اختلفت اختلافًا كبيرًا كالاختلاف بين المعنى اللغوي لكلمة "الإرهاب" التي وردت في الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ الأنفال: ٦٠

وبين "الإرجاف" القائم على فكرة القتل باسم الدين والتطرف الفكري والطائفي والديني التي يعتنقها المتطرفون الآن، فالاختلاف بين المعنيين عظيم، فالأولى أمر إلهي بأن تكون الأمة الإسلامية في حالة قوة عسكرية وسياسية وفكرية وإيمانية تجعل عدوها يهاب أن يدخل معها في حرب أو يتعدى على حقوق رعاياها وأمنهم، أما الثانية فهي تعني القتل باسم الدين والإفساد في الأرض وإكراه الناس على اعتناق فكر أو مذهب أو دين معين وهذا أمر منهي عنه في الإسلام، فقد قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

وهذا الإرجاف تمارسه الجماعات المتطرفة والمسلحة باسم الدين، وقد ألصقه العالم بالإسلام نتيجة للفهم والتفسير الخاطئ والمُؤَول لكلمة "تُرهبون" في الآية الأولى، كذلك نجد الفرق بين المعنيين الدعوة والدعاية، من هنا نجد أن الدعوة هي الإعلام بكل وظائفه ونظرياته ووسائله ورسائله وأهدافه.

* * * * *

المسئولية الإعلامية فرض عين على كل مسلم

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الدعوة إلى هذا الدين فرض عين على كل مسلم، إذا قصّر فيه فقد قصر في عبادة من العبادات المكلف بها، وتكون الدعوى لدى كل مسلم من خلال أخلاقه وسلوكه ومعاملاته مع الناس ومدى التزامه بأوامر ونواهي هذا الدين، وليس المطلوب من كل مسلم ترك أمور حياته وعمله للتفرغ للدعوة، فهذا التفرغ يُعنى به المتخصصون في مجال الدعوة وعلماء هذا الدين، وإنما المطلوب من المسلم أن يكون صورة مشرفة لهذا الدين تعكس مبادئه وحقائقه، رحمته ووسطيته.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هناك فرق بين الدعوة (التي هي فرض عين كما ذكرنا) والفتوى التي لا بد أن يقوم بها المتخصصون من علماء في الأزهر الشريف أو أي مؤسسة أو هيئة إسلامية مسئولة عن هذا الشأن، ويتضح هذا من انتشار البرامج الدعوية التي يقدمها بعض الشباب غير المتخرجين من الأزهر، والذين يحظون بِنِسَب مشاهدة عالية خاصة من المراهقين والشباب، وهذه البرامج لها قدرة على التأثير في اتجاهات الشباب نحو المفاهيم الدينية لما تتمتع به هذه البرامج من ثقة هؤلاء المشاهدين من المراهقين والشباب،

مما يدعم دور هذه البرامج الدعوية في علاج الاتجاهات المتطرفة لدى بعض الشباب المتجهة نحو الإلحاد أو العنف والإرهاب إذا تم استغلال هذه البرامج الاستغلال الأمثل، هذا إلى جانب البرامج المتخصصة في فروع الدين المختلفة (عقيدة - فقه - فتوى - تفسير - معاملات - عبادات - وغيرها) التي يقدمها علماء مؤهلون ذوو خبرة وعلم وتخصصية من خريجي وعلماء الأزهر الشريف وغيره من المؤسسات الدينية المعروفة علمياً وعالمياً.

* * * * *

خصائص الإعلام الإسلامي

الأصل في الإعلام الإسلامي أنَّه إعلام عام غير متخصص لمجتمع مسلم أو دولة إسلامية أو حكومة إسلامية، لكن الواقع لمجتمعاتنا الإسلامية يحتم علينا القول بأنَّ الإعلام الإسلامي في ظروفنا المعاصرة هو صورة من صور الإعلام المتخصص، وهو الإعلام الديني[1].

[١] إعلام قاعدته الحرية وقمته المسئولية: في النظام الإسلامي تُعَدُّ الحرية أساس النظام السياسي، وهي قاعدة لنظامه الإعلامي، والحرية فطرة لا يصادرها الإسلام.

وفي الإعلام الإسلامي إذا كانت قاعدته الحرية؛ فالمسئولية هي قمته، حتى لا تنطلق الحرية بدون ضوابط، ومن هذه الضوابط: العقيدة، والأخلاق، وعدم المساس بالآخرين، وهي خاصية يمتاز بها الإعلام الإسلامي دون الإعلام الغربي الذي يطلق للحرية العنان، مما ينتج عنه التفريط، وبها أصبح الإعلام الغربي إعلامًا إباحيًا وفاسدًا، والإعلام الإسلامي يتوسط ويمثل التوازن.

(١) محي الدين عبد الحليم: المسئولية الإعلامية في الإسلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/١، ١٩٨٣م، ص ٣٦.

إنَّ فلسفة الإعلام الإسلامي لا يمكن أنْ تتم إلاَّ ضمن أُطُر سلوكية وأخلاقية معينة محددة، ومن خلال محاسبة النفس وإحياء الضمير والوازع الديني في الإنسان، ومن خلال المحاسبة والمساءلة التي فرضها الإسلام وأصلح بها الحياة في شتى نواحيها، فإنَّ النفس الإنسانية إذا تركت لشهواتها انحرفت وفتنت، وليس شيء أضرّ لها من أنْ تأمن الحساب وتغدو بعيدة عن يد القانون فيلعب بها الهوى ويوردها موارد الهلاك، ولذلك أقام فيها الإسلام رقيبين يكمل أحدهما الآخر:

أمَّا الأول فواعظ الإيمان في قلب كل مسلم يحاسبه ويسدِّده ويرغِّبه في مرضاة الله ويخوِّفه عذابه، والثاني القانون والمحاسبة، ويكون كل إنسان مسؤولاً عما أوكل له، والقانون في الإسلام فرض هيبته على العامة والخاصة(١).

والمحاسبة في الإسلام تسير بالإنسان دائمًا نحو الأفضل، وتجعله رقيباً على نفسه، وتحفظه من القول، وتسمو به نفسيًا، وروحيًا، وأخلاقيًا، واجتماعيًا، وبدنيًا، وفكريًا(٢).

(١) أحمد محمد العسال: النظام الاقتصادي في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٤٥.
(٢) محمد منير سعد الدين: الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي.

[٢] إعلام حرمات وحقوق: والحرمات هي حرمة الدين، وحرمة العِرْض، وحرمة النفس، وحرمة العقل، وحرمة المال، وقد حافظ الشارع على الضرورات الخمس، وهي: الدين، والعِرْض، والنفس، والعقل، والمال، أوجدها وأصلحها وأكملها، وأبعد عنها الموانع ودرأ عنها المفاسد، فأي عمل يخل بها أو يهدمها محرَّم وعلى المسلم أنْ يجتنبه، وفي ظل الإعلام الإسلامي لا يتصور أنْ يتولاها من يرفض الدين أو يسخر منه أو من رجاله أو أحكامه أو يثير حوله الشبهات أو ينتهك الأعراض أو يفسد الأخلاق ويثير الغرائز من خلال إثارة الجنس الرخيص(١).

والإسلام يقدّر المسئولية ويحافظ على حقوق الفرد في مواجهة الآخرين، وللإسلام ضوابط للإعلام، منها: أنَّ الإعلام يخدم المبدأ ولا يخدم النظام، ويكون الإعلام في خدمة الإسلام وليس الإسلام في خدمة الإعلام، وعندما يكون الإعلام إسلامياً، فإنَّ المشرفين عليه يستندون إلى أحكام الشرع في كل ما يقال ويعلن، ولذلك فإنَّ مَنْ يكون همّه حمل الرسالة السامية إلى العالم لن يجد الوقت الكافي لديه لنشر المهاترات وسفاسف الأمور لملء الفراغ أو لإلهاء الرعية، ولا فراغ عند الوسيلة الإعلامية.

---

(١) زغلول راغب النجار: أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٩٩٠م، ص ١٣٥.

والإعلام الإسلامي لا يكذب، ولا يتملق، ولا يحرِّف، ولا يتلون، ولا ينافق، ولا يستجدي، ولا يخشى في الحق لومة لائم، وهو بالتالي يعلِّم الناس القيم والفضائل، ولا ينشر الفضائح والرذائل، وإنَّما يعمل على نشر الفضيلة، ويعمل على احترام عقول الناس، ويحترم العادات والمشاعر التي تنسجم مع الشرع الإسلامي، وهو يقف مع المظلومين، ويحاسب المسئولين[1].

[٣] إعلام ملتزم بالإسلام وأخلاقه: الإعلام الوضعي المعاصر انفصل عن الدين لأسباب كثيرة، فالذي يميز الإعلام الإسلامي هو ارتباطه التام بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا، وهذا الذي يجعل الإعلام الإسلامي إعلام صدق وأمانة وثقة ودقة وشمولية وموضوعية وسائر أخلاق الإسلام، ولذلك لا بُدَّ أنْ يكون إعلامًا أخلاقيًا إسلاميًا، ولا يكون الإعلام كاملاً إلاَّ بالأخلاق، والشمول الموضوعي، نقصد به بيان أنَّ الجميع سواء أمام أحكام الإسلام، غنيهم وفقيرهم، شريفهم ووضيعهم، ولا استثناء لأحد، وشمولاً مكانيًا يعني شمول الإسلام كشريعة لكل أرض الإسلام أو شموله كدعوة لكل العالم[2].

(١) عايد الشعراوي: تدوين الفكر الإعلامي في العالم، دار النهضة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٤١.

(٢) علي جريشة: نحو إعلام إسلامي، مرجع سابق، ص ٨٧.

والنشاط الإعلامي في الإسلام خلافًا للنشاط الإعلامي في النظم الوضعية له طابعٌ تعبُّدي وهدفٌ سامٍ، ويجعل الرقابة على ممارسة هذا النشاط رقابة ذاتية، فالإعلام الإسلامي يركز على الأخلاق؛ لأنَّها ضرورة من ضروريات الحياة والوجود الإنساني.

ولقد قدم الإسلام للإنسانية دستورًا أخلاقيًا شاملاً، تنتظمه نظرية مفصلة توضح كل العناصر الضرورية اللازمة لتكوين فكرة دقيقة عن الطريقة التي ينبغي أنْ نتصور بها معنى الأخلاق، والنظرية الإسلامية في الأخلاق نظرية فريدة عمدتها الالتزام والمسئولية والجزاء، ولها حد أدنى من الأخلاق الفاضلة تخص الإنسان العادي، وما زاد فهو إكمال يحث عليه القرآن الكريم ويدعو إليه.
وتُعَدُّ الأخلاق الفاضلة أساسًا مهمًا من أسس العملية الإعلامية، والإعلام في كل أبعاده إعلام أخلاقي.

[٤] إعلام مستقل رافض للتبعية: الإعلام الإسلامي يتميز باستقلاليته ورفضه للهيمنة، وهو ذاتي الانطلاق ويرفض أشكال التبعية، وهو عالمي التوجيه ودعوته عالمية، وهو بهذا يرفض كل ما يتعارض مع المصادر الأساسية للإسلام من قرآن كريم وسُنَّة نبوية.

[٥] إعلام القدوة الحسنة والمثل الصالح: لقد ركَّز الإسلام على القدوة الحسنة، فالرسول ε هو أسوتنا وقدوتنا ومثلنا الأعلى، وخرَّج لنا نماذج بشرية من أصحابه كانوا أيضًا القدوة والمثل، مما أثبت أهمية الصفوة المختارة المتميزة بالحكمة، والعلم، والبصيرة، والصلاح، والاستقامة التي يمكن أنْ تشكِّل القدوة الحسنة؛ لأنَّ فقدانها سيؤدي إلى أنْ تقاد البلاد بجهلة متسلطين انتهازيين قليلي الخبرة، لسانهم عربي وعقولهم وقلوبهم غير ذلك، وهذا يؤدي بالمجتمع إلى الضياع.

[٦] إعلام موضوعي هادف: الإعلام الإسلامي يعتمد على الأسلوب الموضوعي، القائم على التحليل والتأمُّل، واتخاذ كافة الوسائل التي تنمي ملكة التفكير لدى الإنسان، الذي يجب أنْ نتوجه إليه بالإقناع، لا أنْ تجره جرًا بوساطة الغرائز، والعواطف، والانفعالات(١)، حيث إن الإعلام الإسلامي الهادف يركَّز على بناء الإنسان الصالح الذي يعرف ربه ونفسه ورسالته، بحيث يصبح الإنسان لبنة صالحة في بناء المجتمع.

(١) منير حجاب: نظريات الإعلام الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٣٩.

[٧] إعلام قائم على الإقناع لا الإكراه: اعتمد الإعلام الإسلامي في مخاطبة جماهير الناس على الإقناع دون الإكراه، وهو مبدأ إسلامي مهم عرضته الآيات والأحاديث وطبَّقه رسول الله ε ودأب عليه الإسلام إلى يومنا هذا، إذن فإن طبقت هذه الخصائص والمعايير لن يكون هناك فكر متطرف أو ينفي وجود الدين أصلاً.

* * * * *

القنوات الدينية المتخصصة

نتيجة للطفرة الإعلامية في العقود الأخيرة قد أصبح هناك ميل إلى التخصصية في الإعلام والقنوات الفضائية، فأصبح لدينا قنوات للأخبار، وقنوات للمرأة وقنوات للطفل، وقنوات للرياضة، وقنوات للترفيه، وقنوات للدراما وغيرها، ونتيجة للحرب الدعائية التي يشهدها العالم العربي والإسلامي خاصة بعد أحداث ١١سبتمبر وتفجير برجي التجارة في الولايات المتحدة والصاق هذه التهمة بالعرب وخاصة المسلمين، وكنتيجة لذلك أصبحت الدول والمؤسسات الإسلامية وحتى المسلمين أنفسهم أصبحوا دائمًا في حالة دفاع عن الإسلام والمسلمين، لذلك كان من الحتمي والضروري استغلال هذه القوة الإعلامية في هذه القضية من ناحية، ومن ناحية أخرى للدعوة والتعريف بهذا الدين وكل ما يتعلق به من حقائق، فكان لا بُد من وجود قنوات دعوية إعلامية متخصصة للقيام بهذه الوظيفة، ويمكن هنا أن نعرّف الإعلام الديني المتخصص بأنه[1]: "تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في هذا المجال. وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي هذه الحقائق ويتأثر بها ويترجمها إلى سلوك وفعل".

---

١) محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٠) صـ١٤٠.

البرامج الدينية بالفضائيات وعلاقتها بمفهوم الوسطية

تعد الفقرات الدينية في البرامج العامة والبرامج الدينية المتخصصة سواء التي تبث في القنوات الفضائية العامة أو المتخصصة، المصرية والعربية، الخاصة منها، أو المملوكة للدولة، هي إحدى الوسائل الدعوية الإعلامية القائمة على إخبار الناس بحقائق وأسس وقواعد هذا الدين، سواء كان ذلك بهدف دعوة غير المسلمين إلى هذا الدين وإقناعهم به، أو بث الثقافة الدينية الصحيحة للمسلمين، أو كان ذلك بهدف الدفاع عن هذا الدين وأتباعه ضد ما روجه البعض في الغرب أو في الشرق في الدعاية الكاذبة لإلصاق تهم التخلف والعنف بهذا الدين وهو بريء منها، هذا التخلف أو العنف قد يتسم به بعض أتباع هذا الدين أو أتباع أي دين أو فكر آخر، فالإعلام الديني المتخصص الذي تمثله هذه الفقرات والبرامج الدينية قائم على توصيل رسالة محدد وهي الدين الإسلامي بكل فروعه وعلومه عن طريق متخصصين في الرسالة نفسها (علماء الأزهر الشريف وغيرها من المؤسسات الدينية) ومتخصصين في الوسيلة المستخدمة في الاتصال (وهم الكوادر الفنية القائمين على إدارة الوسيلة الإعلامية) وذلك عن طريق إحدى وسائل الاتصال المباشر (الخطب وغيرها) أو غير المباشر/الجماهيري مثل:

(القنوات التليفزيونية والإذاعات والمجلات والصحف الدينية المتخصصة)، ويمكن أن نقسم البرامج الدينية -من وجهة نظر الباحثة- إلى قسمين رئيسيين هما:

- برامج شرعية.
- برامج دعوية.

- البرامج الشرعية هي: تلك البرامج الدينية التي تقدم علوم الدين وفروعه المختلفة من فقه، وتفسير، وفتوى، وحديث وعقيدة وغيرها من فروع وعلوم الدين، ويقدمها المتخصصون من علماء وأساتذة الأزهر الشريف.

البرامج الدعوية: وهي البرامج التي تقدم الدعوة إلى الله وإظهار خلق الإسلام من خلال السيرة والقصص الديني والتاريخ الإسلامي بالموعظة الحسنة، وهذه النوعية من البرامج يقدمها من يتمتعون بالثقافة الدينية العالية والقدرة على التأثير والإقناع، وقد ظهر في الفترة الأخيرة دعاة جدد مثل مصطفى حسني ومعز مسعود وأحمد الشقيري وغيرهم ممن تمتعت برامجهم بنسب مشاهدة مرتفعة وفق نتائج الدراسة الاستطلاعية، وتعد الفقرات والبرامج الدينية وسيلة فعالة إذا تم استخدامها بالشكل الأمثل في القضاء على التطرف والإرجاف وتجفيف منابع الفكر التكفيري والدموي.

فنحن أمام حرب فكرية وثقافية تشوه الوعي وتنشر الإحساس بالهزيمة والتخلف والتشكيك في ثوابت الأمة والإفتاء دون علم أو تخصص، فلا بد من نشر الفكر المستنير الذي يوضح الفرق بين سلوك المسلمين وثوابت الدين، فبعض السلوكيات المنحرفة والمتطرفة لبعض المسلمين لا تعني أن المشكلة في الدين وأسسه وإنما في فهم هؤلاء المسلمين لهذه الأحكام والقواعد والأسس، فالمسلمين بشر وليسوا معصومين، والسلوك السلبي ينسب إلى صاحبه وليس إلى الدين الذي ينتمي إليه، فكل فروع وعلوم الدين لا بد من تيسير سبل شرحها للناس بكل السبل وخاصة من خلال برامج دينية تحظى بعوامل فنية وإخراجية وعلمية تجذب الشباب والمراهقين لها والاستعانة بكافة القوالب الفنية في البرامج الدينية وخاصة تلك القوالب التي تعتمد على المناقشة والحوار والإقناع وعرض الرأي والرأي الآخر لترسيخ التعدد الفكري الذي خلقه الله فينا، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ **النحل: ٩٣**

إذن فالتعدد الفكري والعقائدي خلقه الله فينا وهو وحده من له الحق في محاسبة عباده وليس أحد من خلقه.

لذلك فلا بد من نشر الفكر بالإقناع والموعظة الحسنة والخلق الكريم لهذا الدين من خلال تقديم نموذج القدوة، والبطل والمثل الأعلى للمراهق من خلال شخصية دينية سوية قادرة على الإقناع ووتمتع بالحضور والاحترام والثقة سواء كان ذلك من خلال الفقرات والبرامج الدينية بشكل خاص أو الإعلام الديني بشكل عام، ومن نماذج الشخصيات التي تمتعت بقدر كبير من ثقة المشاهدين واحترامهم كان العالم فضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي رحمه الله والذي تحظى خواطره إلى الآن بنسب مشاهدة عالية من كافة أفراد الأسرة، ومن هنا ترى الباحثة أن لدينا كمًّا هائلاً من البرامج التي يمكن الاستغناء عنها والاستعاضة عنها بتلك البرامج الدينية التي تنقل الصورة الصحيحة للإسلام إلى العالم كله ذلك من خلال القناة الفضائية المصرية وغيرها من القنوات الفضائية العامة والدينية المتخصصة يجب أن تخصص مساحة معقولة من برامجها لهذا الغرض، ونظراً لأن رسالة هذه القنوات تصل للعالم الخارجي فيجب مراعاة أن يتم ترجمة ما يتم عمله من برامج إلى عدة لغات منها اللغة الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية وغيرها حتي يفهمنا العالم ويفهم ديننا وقيمنا الاجتماعية ويمحو من تصوره هذه الصورة السيئة عن الإسلام ووسطيته، ولن يتأتي ذلك إلا من خلال التحدث بلغتهم حتى يفهمونا بشكل صحيح.

أما بالنسبة للقنوات الأولى والثانية والقنوات الإقليمية فيجب تخصيص مواعيد مناسبة ومرئية للبرامج الدينية يناقش فيها القضايا الدينية وطرح الحلول التي تثير جدلاً واسعًا في الشارع المصري والبعد عن البرامج التقليدية، وضرورة تقديم الوجبة الدينية بشكل محبب إلى النفس بحيث نلزم المراهق بالارتباط بهذه البرامج، ولتحقيق ذلك يمكن أن تبث البرامج التي تقدم المسابقات الدينية وتقديم جوائز عينية وأدبية للفائزين وإذاعة الندوات الدينية التي تقدم في المساجد التي يطلق عليها الدروس الرسمية، فكثير من القري الموجودة في المحافظات تكون حريصة علي إعطاء دروس في الدين والأخلاق من خلال المساجد التي تقدم فيها هذه الدروس والبعد عن الاستعانة بالبرامج الأرشيفية التي تنقلها القنوات الأخرى لأن هناك كثيرًا من القضايا الدينية ينبغي مناقشتها وإلقاء الضوء عليها لمعرفة شبابنا بها وأيضًا تقديم القدوة الحسنة من الشباب الذين نجحوا في الوصول إلى قمة تفقههم في الدين في سن صغيرة وتقديم تلك النماذج للشباب وأيضًا الأطفال والمراهقين من حافظي القرآن الكريم والفائزين في المسابقات الدينية، حيث إن المراهق لديه دوافع نفسية وانفعالية للظهور والقيادة والنجاح وكسب ثقة الآخرين.

ولتطوير البرامج الدينية لا بد أيضًا من التجديد في الفكر المقدم فيها من حيث الشكل والمضمون، ويُعد علم الحديث من أكثر علوم الدين احتياجًا للشرح والتوضيح والتنقية خاصة وأن المتطرفين يستغلون الأحاديث الضعيفة والمغلوطة والمكذوبة لإثارة الفتن والبلبلة وسفك الدماء، لذلك فلا بد من عمل برامج دينية لتنقية السنة النبوية والحديث الشريف من كل ما هو مفترى ومكذوب على رسول الله ﷺ.

* * * * *

أهداف البرامج الدينية

يمكن أن نوجز أهداف البرامج الدينية في عدة نقاط هي:

١. الدعوة إلى الإسلام ونشره في كل مكان بكل لغة حية وبكل وسيلة ممكنة والتأكيد على الموعظة الحسنة والكلمة الطيبة كأهم وأخطر وسائل الدعوة للإسلام.
٢. تحصين المسلمين أنفسهم من استغلال جهلهم بالفهم الصحيح للدين وذلك بالتعريف بحقائق هذا الدين، ويسمى هذا الهدف (درء المفاسد).
٣. دعم وتقوية أداء العبادات الإسلامية بشكل صحيح.
٤. تحسين المعاملات بين الناس وبعضهم وتدعيم مكارم الأخلاق وأثرها على الفرد والمجتمع، وهذا يعد تحقيق الصبغة الإسلامية للمجتمع.
٥. الرد على الذين يسيئون للإسلام بالحجة والبرهان والدليل من الواقع والتاريخ والكتاب والسنة وضحد الافتراءات والشبهات التي قد توقع المسلم البسيط في حيرة من أمره[١].

١)أحمد عمر هاشم، الدور الديني والإعلام في مناهضة الظواهر السلبية، (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،٢٠٠٢) ص١٥١،١٥٢.

٦. تقديم القدوة الحسنة التي تظهر شخصية المسلم الصحيحة من خلال اللقاءات والبرامج الحية والبرامج الدرامية التي تصل للناس بصورة واضحة وبسيطة.

٧. الوقوف على أخبار المسلمين في العالم والتعرف على أحوالهم والعمل على حل مشكلاتهم وتقديم الدعم للأقليات المسلمة في كل مكان والدفاع عنهم وعن مصالحهم وتوحيد صفوف الأمة[١].

٨. * * * * *

١) محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مرجع سابق، ص٣٣٨.

المعوقات التي تعوق قيام البرامج الدينية بالقنوات الفضائية بدورها الإعلامي والدعوي

من خلال استعراض الباحثة للدراسات والبحوث التي قدمت في هذا الشأن أشار عدد من هذه البحوث إلى بعض العقبات التي تعوق تحقيق البرامج الدينية للدور المنوط بها:

١) لإنتاج برامج دينية تليفزيونية تحظى بثقة واحترام المشاهد لا بد من توفر التمويل المادي والكوادر البشرية المتخصصة وفي غياب أحد العنصرين تفقد البرامج الدينية قدرتها على الإقناع والتأثير في المشاهدين.

٢) بث البرامج والفقرات الدينية في توقيتات غير مناسبة للمشاهدين.

٣) معظم هذه البرامج تقدم مضمونها إلى الجمهور المحلي فقط وتفتقر إلى سبل ووسائل الحوار مع الجمهور العالمي، وذلك بسبب اقتصارها في الغالب على اللغة العربية، وهذا يتناقض مع عالمية الإسلام، والتي تقتضي بالطبع أن يكون الخطاب الديني عالمياً لكل الناس وليس لثقافة دون أخرى، أو فكر دون آخر[١].

---

١)الشيماء محمد أحمد حسن طه، تعرض المراهقين للصفحات الإسلامية على الفيس بوك وعلاقتها بإكسابهم المعلومات الدينية، رسالة ماجستير غير منشورة، (القاهرة: جامعة عين شمس معهد الدراسات العليا للطفولة، ٢٠١٥)، صـ١٠٨،١٠٧.

٤) عدم عرض وجهات نظر مختلفة والاكتفاء بأحادية معالجة القضايا من جانب طرف واحد من الأطراف، مما يجعل الشباب والمراهقين يتجهون إلى برامج على قنوات أخرى بحثًا عن من يقدم لهم وجهات نظر مختلفة فيؤدي ذلك إلى مشاهدتهم لبرامج وقنوات متطرفة تدعو إلى العنف واعتناق الفكر الداعشي ويسهل من أمر التأثير عليهم وغسل أدمغتهم وتجنديهم لصالح الفكر المتطرف.

٥) صبغ بعض القنوات الدينية بالصبغة الحكومية الرسمية يؤدي إلى عدم ثقة بعض الشباب والمراهقين فيما تقدمه هذه القنوات نتيجة لعدم تأييدهم للحكومة أو بعض أعضائها مما يؤدي إلى عزوفهم عن مشاهدة المضمون الديني الذي تقدمه هذه القنوات.

٦) الخلط بين الاتجاهات الدينية والاتجاهات السياسة لبعض القنوات مما أدى إلى غلق البعض منها مثلما حدث عام ٢٠١٣ مع قناة الحافظ والناس وغيرهما.

٧) خضوع الإعلام الديني في كثير من الدول إلى رقابة صارمة تقيد حريته وحركته وذلك للخوف من خطورة الدور الذي يمكن أن يؤديه في التأثير على الناس واتجاهاتهم وخاصة الشباب والمراهقين، وترى الباحثة أنه لا بد من أن يشرف ويراقب المضمون حتى لا يترك الباب مفتوحًا أما أصحاب الفكر المتطرف مع ضرورة إعطاء علماء الأزهر والمتخصصين والباحثين حرية البحث والاجتهاد.

٨) اختفاء بعض القوالب البرامجية المهمة وندرة البعض منها بالرغم من أهمية هذه النوعيات، ومن أمثلة هذه البرامج (برامج المناظرات، وبرامج الندوات) والاعتماد فقط على نوعين من القوالب في معظم الأحيان هي (الحديث المباشر، والفتوى/السؤال والجواب).

٩) تعتمد نسبة كبيرة من البرامج الدينية قد تصل إلى ٨٠% من البرامج الدينية على الأساليب والوسائل التقليدية في الإضاءة والتصوير وحتى القوالب المستخدمة في تقديم المضمون الديني، أساليب ووسائل وقوالب تدعم نفور المشاهدين من هذه البرامج ومشاهدة نوعيات أخرى من البرامج ذات الشكل والمضمون الجذاب، الذي يعتمد على الإبهار والتقنيات الحديثة للتأثير على كل حواس المشاهد بالإضافة إلى استمالة قلبه وعقله معًا.

١٠) وجود دخلاء غير متخصصين إعلامياً أو علمياً للقيام بهذا الدور وتشويههم لصورة الجادين ممن يعملون في مجال الإعلام الديني المتخصص.

١١) عدم دراسة الجمهور المقدم له المضمون دراسة علمية وافية تمكن القائمين على هذا المجال من تقديم المضمون المناسب بالشكل والقالب المناسب للجمهور المناسب في الوقت المناسب، وهذه من أهم الإشكاليات والمعوقات التي تعوق دور الإعلام الديني في الإعلام والتوعية والتثقيف وتصحيح المفاهيم والاتجاهات.

* * * * *

البرامج الدينية

البرامج التي تقدم المضمون الديني بشكل عام تنقسم إلى فئتين هما:

أ- **برامج دعوية**: وهي البرامج التي تهدف إلى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وليست مختصة بإصدار الفتاوى للناس، وقد تبين للباحثة من خلال تحليل هذه النوعية من البرامج الدينية أنه لا يشترط أن يكون مقدمها من علماء الأزهر الشريف أو خريجًا منه، ولكن لا بُدّ أن يكون لديه ثقافة دينية واسعة وقراءة مضطلعة في كل فروع الدين، ولا بُد أن تكون لديه إجازة بتقديم هذا المضمون الديني من الأزهر الشريف.

وهذه الفئة من البرامج الدعوية قد يصنفها البعض وفقًا لمضمونها على أنها برامج "تنمية بشرية"، حيث إنها تحاول إيجاد حلول لمشكلات الإنسان المسلم في هذا العصر ولكن بطريقة تجمع بين تنمية الذات والمصدر الشرعي لحل هذه المشكلات من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذه الفئة من البرامج مدة الحلقة فيها ليست طويلة وإنما تتراوح بين (٥ دقائق -٣٠ دقيقة)، وقد تم استخدام العوامل الفنية والإخراجية لجذب المشاهد وخاصة المراهق لمتابعة هذه البرامج، فمثلاً قد تم الاستعانة في أحدها بالشكل الدرامي للوصول إلى هدف كل حلقة ولكن بطريقة النمذجة والمعايشة.

وكذلك طريقة التعلم بالملاحظة مثل برنامج "**خطوات الشيطان**"، وكذلك جمع هذا البرنامج بين التصوير الداخلي والخارجي حتى يأسر حواس المشاهد وانتباهه وتركيزه لاستخلاص الهدف والحكمة من كل حلقة بشكل خاص والبرنامج كله بوجه عام، وتم استخدام طريقة البرمجة العصبية في برنامج آخر باستخدام ومضات سريعة في حلقة لا تتجاوز الـ٥ دقائق وهو برنامج "**فكّر**" والأسلوب البسيط والديكور والإضاءة وأسلوب التصوير والموسيقى التصويرية والتترات، ويمكن أن نضع في هذه الفئة برنامج "العلم والإيمان" حيث إن هذا البرنامج هدفه الأساسي ليس تقديم الفتوى والعلم الشرعي ولكن هدفه هو البحث في أسرار الكون بشكل عام والإنسان بشكل خاص للوصول إلى غاية الإيمان باستخدام ما توصل إليه العلم من عظمة قدرة الخالق وبديع صنعه ودقة قدرته، وتعد الدعوة فرض عين على كل مسلم، من أول اتباع الخُلُق القويم والفهم الصحيح للدين الإسلامي والذي ينعكس بدوره على معاملاته وأسلوب حياته في المجتمع سواء بين المسلمين وبعضهم، أو بينهم وبين أهل الكتب السماوية السابقة؛ بينما الفتوى وتقديم العلم الشرعي هو فرض كفاية يقوم به العلماء والمتخصصون من الأزهر الشريف والأوقاف وغيرها من المؤسسات الدينية في مصر وخارجها.

ب-**برامج الفتاوى والعلم الشرعي:** وهذه البرامج يقدمها علماء الأزهر وأساتذته، وتختص بتقديم العلم الشرعي والفتوى والتفسير والحديث وغيرها من علوم الدين المختلفة، ومن هذه البرامج برنامج "فتـــــــاوى الناس" الذي يستضيف كل حلقة أحد أعضاء لجنة الفتوى بدار الافتاء المصرية وذلك للرد على أسئلة المشاهدين وتقديم الفتوى الشرعية على هذه الأسئلة، وهذه البرامج لا تقل مدتها عن ٤٥ دقيقة وذلك نظراً لأنها تعتمد على الرد على أسئلة المشاهدين عبر الهاتف أو الفيس بوك وغيرها، وكذلك برنامج "قلوب عامرة" وبرنامج "الموعظة الحسنة"، الذي يقدم فيه د/ مبروك عطية الفتوى والمعلومة الدينية بشكل بسيط وباللهجة العامية أحياناً للوصول لكل المستويات الثقافية والفكرية للمشاهدين، وبرنامج "والله أعلم" والذي يقدم من خلاله د/ علي جمعة المضمون الديني شاملاً كل علوم الدين من فتوى وفقه وحديث وتفسير وعقيدة وغيرها، وكذلك برنامج "خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي" الذي قام فيه الإمام محمد متولي الشعراوي بتفسير كتاب الله القرآن الكريم سواء تفسير الآيات ببعضها أو بتفسيرها بالسنة النبوية، أو بما توصل إليه العلم من حقائق علمية أوحاها الله إلى رسوله منذ أكثر ١٤ قرناً واكتشفها العلماء حديثا، وقد تبين للباحثة أن البرامج الدعوية لا يشارك فيها الجمهور بأي وسيلة تواصل أو اتصال.

وقائمة في معظم الأحيان على قالب الحديث المباشر، وذلك بالاستعانة بالأساليب البلاغية الخطابية في تقديم المعلومة بشكل مباشر (الأسلوب المباشر)، أو بتقديم هذا المضمون الديني بشكل غير مباشر (ضمني) من خلال سرد القصص الإسلامية أو سير الأنبياء والتابعين والصالحين، أو حتى من خلال قصص الحياة اليومية للمسلم في العصر الذي نعيشه، وذلك إما بأسلوب السرد والحكي أو التمثيل والحوار، بينما برامج الفتوى يشارك فيها المشاهد بوسائل الاتصال والتواصل المختلفة وتقوم هذه الفئة على الحوار إما بين الضيوف ومقدم البرنامج أو بين مقدم المضمون والمتصلين عبر الهاتف.

وجاء في صدارة الموضوعات التي تقدمها البرامج الدينية عينة الدراسة وتهم المراهقين (الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومكارم الأخلاق) في الترتيب الأول بنسبة ٢٦.٢٣%، يليه في الترتيب الثاني موضوعات (تقدم الثقافة الدينية التي يحتاجها المراهقين) بنسبة ٢٣.٤٦%، وفي الترتيب الثالث نجد (مناقشة الفكر المتطرف ومواجهته) جاء بنسبة ١٦.٦٧%، يليها في الترتيب الرابع موضوعات تناقش (صلة الرحم) وبر الوالدين بنسبة ١٥.٤٣%، فموضوعات تؤكد على (تحمل المسئولية) بنسبة ٧.٧٢%، أما في الترتيب الخامس فقد جاءت الموضوعات المتعلقة بـ(سلوك المراهقين في سن المراهقة)

بنسبة ٦.٤٨%، فالموضوعات التي تناقش (الاختلاط بين الجنسين) ٢.٧٨%، وفي الترتيب السادس والأخير نجد (أخرى تذكر) بنسبة ١.٢٣% مثل حرية الرأي والحقوق والواجبات وغيرها من موضوعات.

وفي ظل ما نعيشه في عصر السماوات المفتوحة ووسائل الاتصال والتواصل التي أصبح لها دور خطير في نشر الأفكار المتطرفة لا بُد للبرامج الدينية أن تركز أكثر وأكثر على تفنيد هذه الأفكار المتطرفة، خاصة وأن المراهق نتيجة لرغبته الشديدة في التدين في هذه الفترة الفارقة في حياته قد يكون عُرضة لعمليات غسيل الدماغ من قِبل المتطرفين وذلك نتيجة لحداثة السن ومحدودية الثقافة الدينية وحماسته الدينية، والتي يجب علينا استخدامها وتطويعها في الاتجاه الصحيح، وتشجيعه على تحمل المسئولية تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه، وهذا ما يلح عليه الواقع الذي نعيشه وتقديم المفهوم الصحيح لوسطية الإسلام.

وناقشت البرامج الدينية مفهوم وسطية الإسلام فقدمت هذه البرامج أن "الوسطية" تعني في المقام الأول صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان (مرونة التشريع الإسلامي) بنسبة ٣١.٤٨%، فالشريعة الإسلامية ليست قيوداً على الإنسان وحريته ورغباته،

لكنها منظمة لأمور حياته بشكل عام وبين رغباته واحتياجاته، تصلح لكل زمن منذ بدأ الوحي إلى قيام الساعة، فوضعت الأسس العامة التي لا بُد أن يسير وفقها الإنسان في كل زمان ومكان، لكنها تركت له مساحة من المرونة التي تيسر له التوافق والتكيف مع الزمان والمكان والبيئة التي يعيش فيها، ثم جاء في المقام الثاني تقديم وسطية الإسلام أنها تعني (الاعتدال والبعد عن التطرف في الفكر والسلوك) بنسبة ٢٩.٦٣%، وفي المقام الثالث نجد (الوسطية تعني الفهم الصحيح للدين) بنسبة ٢٨.٨٩%، ثم يأتي في المقام الرابع أن الوسطية هي (أحد أهم سمات الإسلام وأسسه) بنسبة ٥.٥٦%، ثم في المقام الخامس والأخير أنها تعني (الوسطية هي أمر دخيل على الإسلام ويعني التهاون في الحدود والأحكام) بنسبة ٤.٤٤%، يتبين لنا من هذه النتائج أن أكثر من ٩٥% من البرامج الدينية يقترب من تقديم الصورة الصحيحة لـ"وسطية الإسلام"، في حين أن هناك بعض البرامج تقدم الإسلام بصورة خاطئة ومتشددة، وقد تركزت هذه الصورة السلبية في البرامج المقدمة في قناة البصيرة بشكل عام وخاصة برنامجي "الأئمة المضلون"، و"فقه الدعوة" ويقدمهما د/ محمد الرضواني، حيث يسخر ممن يخالفه في الرأي والاجتهاد ويشكك في العلماء ولا يعترف بضرورة الاجتهاد لفهم النصوص والأحكام.

وهذه الصورة بعيدة كل البعد عن وسطية الإسلام وتؤدي إلى تقديم صورة مغلوطة ومتشددة للدين داعية إلى التطرف في الفكر والسلوك.

أول الحلول المقترحة للقضاء على التطرف الفكري والديني هو (المناقشة والحوار والإقناع) وذلك بنسبة ٦١.٥٠% من نسبة الحلول المقترحة في البرامج عينة الدراسة، ولا بد هنا أن نؤكد أن هذا الحل طُرح في البرامج عينة الدراسة قبل أن ينزع أصحاب الفكر المتطرف إلى العنف أي في المرحلة التي تسبق اعتناق هذا الفكر أصلاً وهي مرحلة الشك والحيرة والبحث عن الحقيقة، أما عند نزوع أصحاب هذا الفكر إلى العنف وحمل السلاح ضد أفراد المجتمع ومؤسساته وهيئاته فهنا يأتي دور الحل الثاني وهو (التصدي للمتطرفين بالقوة)، وقد جاء هذا الحل بنسبة ٢١.٣٩% كردع لهؤلاء المتطرفين وعلاج لانحرافهم عن الطريق الوسطي المستقيم.

وقد جاء حل (تحسين الأحوال المعيشية للمواطنين) في المرتبة الثالثة بنسبة ١٧.١١% وذلك في إطار علاج الأسباب التي قد تدفع الإنسان لاعتناق هذه الأفكار المتطرفة.

فالظلم والفقر والبطالة والعوز قد يشحن الإنسان بالرغبة في تغيير هذا الواقع ولو بالقوة والعنف، ويشحنه بمشاعر سلبية من إحباط وكراهية تجاه كل من تسبب في هذه الظروف المجتمعية فيسخط على المجتمع ومؤسساته ويرى أنه هو وحد على الصواب ولا بد أن يتبعه الجميع وإلا يكونوا في حزب الشيطان ضد حزبه حزب الحق -من وجهة نظره- من خلال ذلك لا بد أن نؤكد على سد الفجوة والقصور في الجانب الديني والدعوي لمؤسسات الدولة المختلفة في المدرسة والمسجد ووسائل الإعلام وفي الدراما والبرامج الدينية والثقافية، فلا بُدّ من محاربة الجهل الديني والفكري وفتح كل قنوات الحوار مع كل الأطياف الفكرية في المجتمع ومعالجة الفكر بالفكر قبل أن يضطرنا أصحاب الفكر المتطرف والمنظمات الإرهابية إلى بتر أعضاء من المجتمع بالقوة وسفك الدماء مما يجعل كل المجتمع خاسرًا في هذه المعركة.

وتناول هذا المحور عينة البرامج التليفزيونية ذات المضمون الديني المقدمة بالفضائيات سواء كانت هذه البرامج الدينية تقدم في القنوات الدينية المتخصصة، أو في القنوات العامة، سواء كانت هذه البرامج دينية بصفتها أو برامج عامة تقدم المضمون الديني في فقرة منها أو حلقة مستقلة بذاتها سواء كان ذلك بصفة دورية منتظمة أو بصفة غير دورية.

وقد تم اختيار ١٤ برنامجًا الأعلى مشاهدة في الدراسة الاستطلاعية، وقد تم اختيار حلقات كل برنامج بطريقة الأسبوع الاصطناعي، وذلك لتضمن لنا سلامة تمثيل العينة وبذلك أصبح لدينا ١٤x١٢=١٦٨ حلقة، واستخدمت الباحثة أسلوب التكرارات الإحصائية والنسب المئوية لاستخلاص نتائج التحليل الكمي للعينة التحليلية والاستناد إلى هذه النسب المئوية في التحليل الكيفي للبرامج عينة الدراسة.

* * * * *

صورة وسطية الإسلام المقدمة في البرامج والفقرات الدينية بالفضائيات وعلاقتها باتجاهات المراهقتن نحو مفهوم الوسطية

أجرت الكاتبة دراسة لمعرفة صورة وسطية الإسلام كما تقدمها البرامج التليفزيونية بالفضائيات وعلاقتها باتجاهات المراهقين نحو مفهوم الوسطية، وقد كان من الضروري الربط بين نتائج الجانب الميداني للدراسة للوقوف على الصورة الذهنية لدى المراهقين عن وسطية الإسلام واتجاهاتهم نحو مفهوم الوسطية وكذلك مفهومي التطرف والإلحاد، ونتائج الجانب التحليلي للدراسة لمعرفة الصورة الإعلامية المقدمة في البرامج والفقرات الدينية بالفضائيات وتأثير هذه الصورة الإعلامية على اتجاهات المراهقين نحو وسطية الإسلام.

(١) تشير نتائج الدراسة إلى أن البرامج الدينية اليومية تأتي في المركز الأول حيث تمثل ٧١.٤٣% من حجم عينة البرامج عينة التحليل، وقد أثبتت عدد من الدراسات السابقة أن كثافة التعرض للمضمون الإعلامي سواء كان دينيًا أو غير ذلك يزيد من قدرة هذا المضمون على التأثير في المشاهدين وخاصة على المراهقين، بينما تأتي البرامج الأسبوعية في المرتبة الثانية بنسبة ٢١.٤٣% من البرامج عينة الدراسة.

ثم في الترتيب الأخير الحلقات التي تناقش الموضوعات الدينية التي تثير جدلاً ونقاشًا في المجتمع من برنامج "ممكن"، وقد جاء تمثيل هذه النوعية بنسبة ٧٠١٤%، ولكن ما يزيد من نسب مشاهدة هذه الفئة من البرامج الدينية أنها تقدم المضمون الديني بشكل غير تقليدي يغلب عليه قالب المناقشات والمناظرات بين أكثر من عالم وأكثر من ضيف، مما يجذب المشاهد وخاصة المراهق لمتابعة هذه المناقشات، بالإضافة إلى استخدام القالب الدرامي في بعض البرامج الدينية وذلك لتدعيم فكرة كل حلقة وتقديم النماذج الحية للأفكار المطروحة في البرنامج مما يزيد من فرص اقتناع المراهقين بها.

(٢) من خلال نتائج الدراسة يتضح لنا أن ٥٠% من عينة البرامج لديها عوامل جذب المشاهدين من عوامل إخراجية وفنية ومضمون جيد وضيوف متخصصين تتوفر هذه العوامل معًا في البرامج عينة الدراسة، حيث تأتي فئة (كل ما سبق) في الترتيب الأول بنسبة ٥٠% حيث تتوفر كل العوامل في ٥٠% من الحلقات التي تم تحليلها، ثم يأتي في المركز الثاني (المضمون الجيد) بنسبة ١٩٠٩١%، ثم في المركز الثالث تأتي (العوامل الفنية والإخراجية) بنسبة ١٦٠٦٧%، في حين نجد أن أهم ما يجذب المبحوثين لمشاهدة البرامج الدينية، حيث جاء في الترتيب الأول (نوعية الموضوعات).

حيث جاء بنسبة بلغت ٤٤.٨٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (كل ماسبق) حيث جاءت بنسبة ١٩.٩٧% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثالث (الأسلوب والشكل الجذاب) حيث جاءت بنسبة ١٣.٥٣% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الرابع (شخصيات الضيوف تتوافق مع نوعية الموضوعات) حيث جاءت بنسبة ٩.٤١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الخامس (الأسلوب المقنع للضيوف) حيث جاءت بنسبة ٨.٤٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب السادس (وقت إذاعتها مناسب لي)، حيث جاءت بنسبة ٨.٠٩% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

(٣) مكان تصوير البرنامج: يحتل المكان التقليدي لتصوير البرامج ذات المضمون الديني داخل الاستديو أو المسجد المرتبة الأولى حيث ٧٨.٥٧ من حجم عينة البرامج تم تصويرها تصويرًا داخليًا، بينما لم يتم الاعتماد على التصوير في الأماكن المفتوحة بشكل مستقل وإنما تم الدمج بين التصوير الداخلي في الأستديو بالإضافة إلى التصوير في الأماكن المفتوحة بنسبة ٢١.٤٣% من البرامج عينة الدراسة، بالرغم من أن النتائج الميدانية تؤكد أن نسبة من يفضلون تصوير البرامج الدينية (تصوير خارجي بالأماكن المفتوحة)،

من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٣٣.٢٨%، وبلغت نسبة من يفضلون (تصوير البرامج الدينية داخليًا بالأستديو) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٢٢.٤٧%، بينما بلغت نسبة من (لا يهمهم أماكن تصوير البرامج الدينية) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٤٤.٢٥%؛ حيث أكدوا أن ما يهمهم في البرامج والفقرات الدينية هو مضمون البرنامج وما يقدم من خلاله والأسلوب المُقدم به هذا المضمون، ويعد مكان تصوير البرنامج أحد أساليب جذب المشاهدين له، وقد عمدت بعض البرامج الدينية وخاصة تلك التي يقدمها الدعاة الجدد في تغيير الشكل والأسلوب التقليدي للبرامج الدينية وقاموا بالدمج بين التصوير الداخلي والخارجي، وهذه البرامج مثل برامج مصطفى حسني ومعز مسعود وأحمد الشقيري، وحتى برنامج العلم والإيمان والذي حظي بنسبة مشاهدة عالية لدى المبحوثين قد اعتمد على الدمج بين الأسلوبين، ويعد هذا الدمج والخروج من الشكل التقليدي الإنشائي للبرامج الدينية هو أحد أسباب تفضيل المشاهدين لها، ولذلك يعد مكان تصوير البرنامج أحد عوامل جذب المشاهد، لذلك لا بد من مراعاة رغبة المشاهدين عند تصوير البرامج التي تقدم المضمون الديني والخروج عن الإطار التقليدي بالتصوير في أماكن مفتوحة خارج الأستوديو.

(٤) تبين من خلال نتائج جانبي الدراسة التحليلي والميداني أن نسبة ٦٠% من البرامج عينة الدراسة يقدم المضمون الديني فيها علماء وأساتذة جامعة الأزهر، وهذا يتفق مع النتائج الميدانية للدراسة والتي تؤكد أن ٤٧.٤٤% من المراهقين يفضلون متابعة البرامج الدينية التي يقدمها علماء الأزهر وأساتذته، ويتفق أيضًا مع نوعية الموضوعات الدينية المقدمة في البرامج الدينية، حيث تتصدر الفتوى المركز الأول في نوعية المضمون الديني بنسبة ١٧.٩% من جُملة المضمون المقدم في هذه البرامج، ثم تأتي الأمور المتعلقة بعقيدة المسلم في المركز الثاني، بنسبة ١٦.٤٩%، يليها تقديم الأخلاقيات من آداب وسلوك في المركز الثالث بنسبة ١٤.٩٣%، ويليها بفارق طفيف في المركز الرابع تقديم فقه العبادات والمعاملات بنسبة ١٤.٨٦%، أما في المركز الخامس فتقديم السيرة النبوية الشريفة بنسبة ١٢.٧٧% من جُملة ما تم تقديمه من مضمون في البرامج عينة الدراسة، وفي المركز السادس تقديم الأمور الخاصة بالغيبيات والإيمان بها وقد جاء تقديمها بنسبة ١١.١٥% من أمثلة الموضوعات التي تم تناولها في هذا الجانب موضوعات: الجن والروح والجنة والنار والحساب والبعث وعلامات الساعة ومن لم نعرف من الرسل وغيرها من الأمور الغيبية، ثم جاء تقديم تفسير القرآن الكريم وآياته سواء في برامج مستقلة مثل برنامج "**خواطر الشعراوي**" أو من خلال المضمون الديني المقدم بشكل عام جاء في المركز السابع.

من خلال هذه النتائج لا بد أن نؤكد على أن هناك نوعين من المضمون الديني المقدم في البرامج لا بد أن يقوم به المتخصصون والعلماء فقط وهما: الفتوى وتفسير كتاب الله، وذلك لأن القيام بتقديم هذين النوعين يتطلب دراسة وافية وفهمًا صحيحًا للقواعد الفقهية واللغوية والإجازة العلمية، حتى لا يكون تفسير الآيات عُرضة للتأويل القائم على الهوى أو المصلحة الشخصية، أو الفهم الخاطئ للآيات، أما باقي المضامين الدينية فيمكن أن يقدمها غير المتخصصين ولكن دون اجتهاد شخصي وبعد إجازة من العلماء مع التمتع بقدر وافٍ من القراءة والاضطلاع في علوم الدين، بينما تأتي فئة (آخرون) في المركز الثاني بنسبة ٢٦.٦٧% وهم من لا ينتمون إلى الفئات الأخرى، حيث إنهم ليسوا من الدعاة الجدد ولا من علماء الأزهر ولا أئمة وخطباء ومنهم د/ مصطفى محمود، والممثلون الذين تم الاستعانة بهم في الجزء الدرامي من برنامج "خطوات الشيطان"، ويأتي في الترتيب الثالث (الدعاة الجدد) بنسبة ١٣.٣٣% من ضيوف البرامج عينة الدراسة، وهذا يتوافق مع نتائج الجانب الميداني للدراسة والذي يؤكد أنه جاء في الترتيب الأول (العلماء الكبار من الأزهر) في ترتيب الدعاة الذين يفضل المبحوثون الاستماع إليهم، حيث جاء بنسبة بلغت ٤٧.٤٤% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

وجاء في الترتيب الثاني (الأئمة وخطباء المساجد)، حيث جاءت بنسبة ٢٦.٤٤% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثالث (الدعاة الجدد)، حيث جاءت بنسبة ٢٦.١٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

(٥) من خلال نتائج جانبي الدراسة يتضح لنا المستوى اللغوي الذي يتحدث به الضيوف في البرامج الدينية ومدى تفضيل المبحوثين لهذه المستويات تبين أن: تحدث ضيوف البرامج الدينية بنسبة ٥٧.١٤% بـ(فصحى الإعلام) حيث مستوى يجمع بين فصاحة اللغة وبساطة الفهم، ثم يليها تقديم المضمون باللهجة (العامية) بنسبة ٢٨.٥٧%، ثم يأتي الحديث بالـ(العربية الفصحى) بنسبة ١٤.٢٩%، وقد أكد ٥٥% من المبحوثين على ضرورة أن يتحدث ضيوف البرامج الدينية بمستوى لغوي يجمع بين الفصاحة والبساطة، في حين يفضل ٢٥% من المبحوثين اللغة العربية الفصحى في تقديم المضمون الديني في البرامج التليفزيونية، و٢٠% من المبحوثين يفضلون أن يتحدث ضيوف البرامج الدينية باللهجة العامية لمراعاة المستويات الفكرية المختلفة ونسبة الأمية في الشعب المصري.

(٦) اعتمد ضيوف البرامج الدينية عينة الدراسة على بساطة الأسلوب وتبسيط المفاهيم والمصطلحات العلمية المتخصصة بنسبة ٩٢.٩%، في حين جاء الأسلوب المتخصص في المرتبة الثانية بنسبة ٧.١% ويظهر ذلك بوضوح في حلقات برنامج العلم والإيمان حيث المصطلحات العلمية والمفاهيم المركبة، بالإضافة إلى بعض المفاهيم المتخصصة جدًا في علوم الدين والتي قد لايفهمها إلا المتخصص ومن في مستواه، ومن أمثلة هذه المصطلحات (الجرح والتعديل) في علم الحديث.

(٧) تشير نتائج الجانب التحليلي للدراسة أن نسبة ٥٥.٢١% من ضيوف البرامج الدينية يفضلون ارتداء الزي العصري، ويليه فئة (غير ذلك) بنسبة ٢٥% وينتمي إلى هذه الفئة كل من ارتدى الجلباب مثل الشيخ محمود المصري، ود/ محمد حسان وغيرهما، ثم يأتي الضيوف بالزي الأزهري في الترتيب الثالث من حيث نسبة ظهورهم في البرنامج عينة التحليل بنسبة ١٩.٧٩%، وفي الجانب الميداني للدراسة أكد ٥٥.٢٢% من المبحوثون أن هناك تأثير لمظهر الداعية/ الشيخ في إقناع المبحوثين بآرائه الدينية، مما يؤكد من تأثير الصورة التليفزيونية في إقناع المشاهدين بالمضمون المقدم.

وبلغت نسبة من يرون أنه ليس هناك تأثير لمظهر الداعية/ الشيخ في إقناع المبحوثين بآرائه الدينية من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٤٤.٧٨%، حيث يرى ٤٥% من المبحوثين أن ما يقوله ويقدمه الداعية /الشيخ هو العامل الأهم والأخطر من مجرد التأثر بمظهره وما يرتديه.

(٨) من خلال الجانب التحليلي يأتي تقديم (الذكور) للمضمون الديني في المركز الأول بنسبة ٥٧.١٤%، يليه في المركز الثاني تقديم المضمون الديني بالاستعانة بضيوف ذكور وإناث (الاثنين معًا) بنسبة ٢٨.٥٧%، ثم في المركز الثالث الإناث بنسبة ١٤.٢٩% في تقديم المضمون الديني في البرامج عينة الدراسة، ومن الجدير بالذكر أن الجانب الميداني للدراسة يشير إلى أن نسبة من يرون أن هناك تأثيرًا لنوع الداعية (ذكر/ أنثي) في تقبل ما يقوله من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٣٠.٢٢%، فقد يفضل المبحوثون أن يستمعوا للمضمون الديني ممن يماثلهم في الجنس أيًا كانوا (ذكور/ إناث) أكثر من يستمعوا لهذا المضمون ممن يخالفهم فيه، وبلغت نسبة من يرون أن ليس هناك تأثير لنوع الداعية (ذكر/ أنثي) في تقبل ما يقوله من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٦٩.٧٨%.

(٩) تشير نتائج تحليل مضمون البرامج عينة الدراسة إلى أن ٥٠% من حجم عينة البرامج محل الدراسة لا يشارك فيها الجمهور (أبدًا) وهي البرامج الدعوية الهادفة إلى الدعوة وتوصيل الفهم الصحيح للدين الإسلامي سواء للمسلمين أو لغيرهم مثل برنامج "فكر"، وبرنامج "خطوات الشيطان"، وبرنامج العلم والإيمان، وبرنامج "دائرة نور"، برنامج كلمة، بالإضافة إلى الحلقة الدينية من برنامج "ممكن"، والحلقة الدينية من برنامج "بوضوح"، و(يشارك الجمهور دائمًا) جاء في الترتيب الثاني بنسبة ٣٥.٧١% وهذه البرامج هي البرامج القائمة على الفتوى والرد على أسئلة المشاهدين مثل برنامج "فتاوى الناس"، برنامج "والله أعلم"، برنامج "قلوب عامرة"، برنامج "الدين والحياة"، وبرنامج "الموعظة الحسنة"، وجاءت مشاركة الجمهور في البرنامج (أحيانًا) في الترتيب الثالث بنسبة ١٤.٢٩%، ومن أمثلة هذه الفئة برنامج "خواطر الشعراوي" والذي يشارك فيه الجمهور الذي يحضر تصوير البرنامج أحيانًا بالحوار مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

(١٠) إن التليفون كوسيلة اتصال مباشرة تستحوذ على المركز الأول بين وسائل الاتصال التقليدية ووسائل التواصل الاجتماعي كوسائل اتصال جديدة مستخدمة في البرامج الدينية وذلك بنسبة ٧٧.٠٩% حيث إن التليفون يعد ذا نتيجة فعالة في التواصل وسرعة الرد على الأسئلة وتوضيح فوري لأي غموض أو لبس في سؤال

المتصل للضيف يضمن إجابة وافية وصحيحة للسؤال، ثم يأتي (face book) في المركز الثاني بين الوسائل التي يستخدمها الجمهور في المشاركة في البرنامج وجاء ذلك بنسبة ١٤٠٠٢ % وذلك بالتواصل سواء مع الصفحات الرسمية للبرامج نفسها، أو الصفحات الخاصة بضيوف هذه البرامج، ثم تأتي (رسائل بريد- رسائل نصية- تقارير مصورة) في المركز الثالث بنسبة ٥٠١٢% من حيث الاعتماد عليها كإحدى وسائل التواصل بين جمهور المشاهدين والبرامج الدينية وضيوفها، يليها في المركز الرابع (حضور الجمهور تصوير البرنامج) وذلك بنسبة ٣٠٢٣% وجاء ذلك في برنامج واحد من عينة البرامج محل الدراسة، ثم يأتي (tweeter) في المركز الخامس والأخير بنسبة ضئيلة ٠٠٥٤% وهذه النسبة قد تعتمد على رغبة المتصلين في سرعة الرد عن طريق التليفون كوسيلة تقليدية (إقبال الجمهور على الوسيلة) أو إلى نوع الجمهور المتصل بالبرنامج قد لا يكون ممن يستخدمون الفيس بوك وتويتر أصلاً، ويمكن أن تكون هذه النسب نتيجة لأن يكون عدد المتصلين أكبر من الوقت المتاح للرد على كل الأسئلة فيتم الاكتفاء بالرد على أسئلة المشاهدين عبر الهاتف وتأجيل الأسئلة الواردة عبر كل أو بعض وسائل الاتصال الأخرى، وقد تشير هذه النسبة إلى (انتقاء) فريق الإعداد للأسئلة التي تستدعي الرد الفوري، وذلك بالرغم من أن معظم البرامج الدينية تتيح كافة

وسائل الاتصال والمشاركة، ونلاحظ هنا أنه لم يتم استخدام وسيلة (e-mail) أو البريد الإلكتروني في برامج العينة أبدًا.

(١١) تؤكد النتائج التحليلية للدراسة أن البرامج الدينية بالدرجة الأولى تعتمد على (الأسلوب المباشر) في تقديم المضمون الديني، حيث جاء استخدامه بنسبة ٥٢.٤٨%، يليه في الدرجة الثانية استخدام (الأسلوبين معًا) في البرامج عينة الدراسة بنسبة ٣٩.١٠%، ثم في الترتيب الأخير استخدام الأسلوب غير المباشر (الضمني) بنسبة ٨.٤٢%، وهذه النتائج تعتمد في الأساس على نوعية المضمون المقدم في البرنامج والذي يحتاج المشاهد أن يكون هذا المضمون واضح ومحدد ومباشر خاصة الفتاوى الدينية المقدمة في هذه البرامج، وهذا يتفق مع نتائج الجانب الميداني للدراسة، حيث تشير النتائج إلى أن نسبة من يفضلون (الأسلوب المباشر كالوعظ والإرشاد والخطب الدينية "كخطب الجمعة والأعياد مثلاً") من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٤٤.١٤% ويعود ذلك لأن هذا الأسلوب من وجهة نظر المبحوثين يلائم طبيعة المعلومة الدينية وتقديمها بطريقة مباشرة حتى لا تحتمل اللبس أو سوء الفهم والتأويل من بعض ضعاف الفهم أو ذوي الاتجاهات المتطرفة، وبلغت نسبة من يفضلون (الأسلوب غير المباشر "الضمني"

كالقصص الدينية وتقديم نماذج يقتدي بها المسلم) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٣٣.٨٦%، وبلغت نسبة من يفضلون (الأسلوبين معًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٢٢% وبذلك تتوافق نتائج الجانب الميداني للدراسة مع الجانب التحليلي.

(١٢) أما من حيث استخدام أسلوب الترغيب أو الترهيب في البرامج الدينية من خلال نتائج تحليل مضمون البرامج عينة الدراسة تبين أن استخدام أسلوب الترغيب في رضا الله ودخول الجنة من قِبل مُقدم المضمون الديني جاء في المرتبة الأولى بنسبة ٣٨.٥٢%، ثم في المرتبة الثانية جاء (الجمع بين أكثر من أسلوب) بنسبة ٣٠.٣٧%، ثم في المرتبة الثالثة جاء استخدام (أسلوب الحجة والبرهان) بنسبة ٢٧.٤١% ، ثم يأتي أسلوب الترهيب في المرتبة الرابعة بنسبة ٣.٧%، ومن خلال هذه النتائج يتضح لنا أن البرامج التي تقدم المضمون الديني بالقنوات التيفزيونية الفضائية تسير في الاتجاه الصحيح لشرح صحيح الدين القائم على الفهم الصحيح للدين القائم على القلب والعقل معًا ثم ترك قرار السير في طريق الإيمان من عدمه للإنسان نفسه لأنه هو وحده الذي سيتحمل نتيجة قراراته، في حين أن نتائج الجانب الميداني للدراسة أكدت أن المبحوثين يفضلون (أسلوب الترغيب في رضا الله ودخول الجنة)

بنسبة بلغت ٣٣.٣٣% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وبلغت نسبة من يفضلون (أسلوب الترهيب من غضب الله وعذابه) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٦٦.٦٧%.

(١٣) أما من حيث القالب الفني للبرنامج الديني فتشير نتائج الجانب التحليلي إلى أن قالب (الحوار) يأتي في المركز الأول من حيث القوالب الفنية المستخدمة في البرامج عينة الدراسة وذلك بنسبة ٥٣.٦١%، ويتضح هذا القالب في برامج المناقشات، والحوار بين الضيف ومقدم البرنامج أو بين مقدم المضمون والمتصلين، يليه قالب (الحديث المباشر) في المركز الثاني بنسبة ٣٩.٦٩% وهي البرامج التي تكون أحادية المُتحدث أي يكون مقدم المضمون الديني هو الضيف والمذيع في آن واحد، ولا يكون هناك مشاركات من الجمهور، مما يعني أن يقدم المضمون الديني بالحديث المباشر من الشيخ/ الداعية للجمهور مباشرة عبر الكاميرا دون أي مداخلات، ثم في المركز الثالث قالب (المناظرة) بنسبة ٦.٧٠%، وهذا الترتيب يتوافق مع تفضيلات المراهقين عينة الدراسة للقوالب التي يفضلونها في البرامج الدينية حيث حيث جاء في الترتيب الأول (برامج الحديث المباشر/ الضيف الواحد مثل حديث الروح وخواطر الشعراوي).

(١٤) حيث جاء بنسبة بلغت ٥٥.٢٦% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (البرامج التى تعتمد على أسئلة المشاهدين والفتاوى)، حيث جاءت بنسبة ٢٥.٨٢% من إجمالي مفردات العينة وجاء في الترتيب الثالث (برامج المناقشات بين أكثر من ضيف)، حيث جاءت بنسبة ١٨.٩١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

ونلاحظ اختفاء (الندوة) كقالب كان مستخدمًا في البرامج الدينية في الماضي لكنه لم يعد يستخدم الآن، وبالرغم من أن نوع المضمون يؤثر على استخدام القوالب الفنية في البرامج، إلا أن الاعتماد على وجهة نظر ضيف واحد أو اتجاه واحد في هذه البرامج يفقدها جزء من قدرتها على الوصول لكل فئات الجمهور وثقة بعض هذه الفئات في هذه البرامج ويؤدي ذلك بالضرورة إلى بحث المشاهد عن وسائل ونوافذ أخرى تقدم له إجابات لكل ما يدور بفكره وقد لا تكون هذه النوافذ عبر اليوتيوب مثلاً أو الموقع الإلكترونية غير أمينة في نقل وتوصيل المعلومة الدينية بشكلها وفهمها الصحيح مما يؤدي إلى اجتزاء وتأويل الآيات والأحاديث تأويلاً خاطئًا يشوبه الخطأ في الفهم وطبقا للهوى والمنفعة الشخصية مثلما يقوم به الآن تنظيم الدولة الإسلامية في بلاد العراق والشام (داعش) من تفسير خاطئ ومجتزأ للآيات القرآنية والحديث الشريف بسبب قصور في التنشئة والوعي الديني للطفل والمراهق والتعود على وجهة نظر أحادية الجانب.

(١٥) التوقيت الذي يتم إذاعة البرامج الدينية فيه بشكل رئيس هو (ليلاً من الساعة ٦ مساءً -١١.٥٩منتصف الليل) حيث تذاع البرامج الدينية في هذا التوقيت بنسبة ٥٠%، يليه توقيت (المساء من الساعة ٣عصرًا إلى الساعة ٦ مساءً) بنسبة ٣٥.٧١%، ثم في الترتيب الثالث وقت الظهر (١٢ظهرًا-٣ عصرًا) بنسبة ١٤.٢٩%، في حين يتم إعادة بث هذه البرامج مرة أخرى من بعد منتصف الليل إلى قبل الثانية عشرة ظهرًا، وذلك للوصول إلى أكبر نسبة مشاهدة من الجمهور وخاصة المراهقين حيث تشير النتائج الميدانية إلى أن نسبة من يشاهدون البرامج الدينية على القنوات الفضائية (صباحًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٢٦.٩، وبلغت نسبة من يشاهدون البرامج الدينية على القنوات الفضائية (ظهرًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ١٨.٢% بينما بلغت نسبة من يشاهدون البرامج الدينية على القنوات الفضائية (مساءً) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٣٣.١%، بينما بلغت نسبة من يشاهدون البرامج الدينية على القنوات الفضائية (ليلاً) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٢١.٨%.

(١٦) ونلاحظ من النتائج السابقة بالرغم من أن توقيت المساء هو المفضل لدى ٣٣% من المبحوثين إلا أن الفارق بين هذا التوقيت وغيره ليس كبيرًا من حيث نسب التفضيل.

ولذلك نجد أن القنوات الفضائية والإذاعية اتجهت للحصول على أكبر نسبة مشاهدة لبرامجهم من خلال إعادة بث البرامج في أكثر من توقيت، وذلك حتى يتناسب وقت عرض البرنامج مع أكبر عدد من المشاهدين.

(١٧) جاءت القضايا الدينية في الترتيب الأول من حيث نسبة تناولها في البرامج الدينية وذلك بنسبة ٤٠.٧% وقد تركزت هذه القضايا في فقه العبادات وتفسير الآيات، والعقيدة والغيبيات والسيرة النبوية من أقوال وأفعال وسير الأنبياء، تليها القضايا الاقتصادية بنسبة ١٩.٢٤% وتشمل هذه القضايا المواريث والإنفاق على الأسرة، ومعاملات البنوك، والتجارة وغيرها من المعاملات الاقتصادية، ثم القضايا الاجتماعية في الترتيب الثالث من حيث نسبة تناولها في البرامج عينة الدراسة بنسبة ١٨.٧٦% وشلمت هذه الفئة فقه المعاملات والأخلاقيات في الآداب والسلوك بين أفراد المجتمع، بوجه عام والأسرة بوجه خاص والتربية وتحمل المسئولية، أما في الترتيب الرابع من حيث التناول في البرامج الدينية عينة الدراسة فقد جاءت القضايا الثقافية بنسبة ٩.٥٤%، وقد اتضحت هذه القضايا في كل ما تشمله اللغة العربية من فصاحة وبلاغة ومعاني، بالإضافة إلى القضايا الفكرية والفلسفية التي تمت مناقشتها في البرامج عينة الدراسة.

وفي الترتيب الخامس جاءت القضايا السياسية بنسبة ٦.٦٨%، ثم في الترتيب السادس والأخير جاءت (قضايا أخرى) بنسبة ٥.٠٨% وقد شملت هذه الفئة الحقائق العلمية والقضايا النفسية والصحية.

(١٨) أشارت نتائج الجانب التحليلي للدراسة أن البرامج الدينية تعتمد في مرجعيتها ومصادر المضمون الديني المقدم فيها على القرآن الكريم بالدرجة الأولى بنسبة ٤٥.٨٢%، ثم جاء الاعتماد على السُّنّة النبوية المطهرة من حديث شريف أو سيرة النبي وأفعاله - صلى الله عليه وسلم- في الترتيب الثاني بعد كتاب الله وقد كان ذلك بنسبة ٢٩.٢٨%، ثم أقوال وأفعال الصحابة والتابعين والصالحين في الترتيب الثالث بنسبة ٩.٤١%، وفي الترتيب الرابع جاء اجتهاد الفقهاء والعلماء بنسبة ٦%، فالحقائق العلمية وما توصل إليه العلم من اكتشافات في الترتيب الخامس بنسبة ٤.٤٧%، يليها سير الأنبياء في الترتيب السادس جاءت بنسبة ١.٤%، أما في الترتيب السابع فقد جاء الاستعانة بالأحاديث القدسية وكان ذلك بنسبة ١.٢٤%، كما تؤكد على ذلك نتائج الجانب الميداني للدراسة أن أهم مصادر مرجعية البرامج والفقرات الدينية من وجهة نظر المبحوثين، (يستشهد بآيات من القرآن الكريم) حيث جاء في الترتيب الأول بنسبة بلغت ٤٨.٥٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

وجاء في الترتيب الثاني (السنة النبوية الشريفة) حيث جاءت بنسبة ٢٢.١٥% من إجمالي مفردات عينة الدراسة موزعة وجاء في الترتيب الثالث (كل ما سبق) حيث جاءت بنسبة ١٨.٩٩% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الرابع (الأحاديث القدسية) حيث جاءت بنسبة ١٥.٩٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الخامس (أقوال وأفعال الصحابة) حيث جاءت بنسبة ١٥.٥١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب السادس (تاريخ إسلامي) حيث جاءت بنسبة ١٣.٦١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب السابع (حقائق علمية) حيث جاءت بنسبة ١٢.٣٤% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

وبالرغم من أن كل البرامج الدينية تستشهد بآيات من القرآن الكريم وبالحديث الشريف إلا أن الفيصل هنا بين البرامج التي تقدم صحيح الدين وصورة وسطية الإسلام وبين البرامج الداعمة للفكر المتطرف والداعية له هو التفسير الصحيح للآيات وفق الفهم الصحيح للغة وقواعدها النحوية والبلاغية بالإضافة لعدم اجتزاء الآيات من مكانها ومعرفة أسباب نزولها والحكمة منها وعدم تعارض هذا التفسير مع آية واحدة من القرآن الكريم.

وكذلك الحال بالنسبة للحديث الشريف من حيث عدم التعارض بين الحديث وآيات القرآن الكريم والتفريق بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموقوف والموضوع، والمعرفة الكاملة بعلم الجرح والتعديل، ومعرفة مناسبة الحديث والحكمة منه؛ إذا تم تطبيق هذه الضوابط عند الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم أو السنة النبوية فستقدم البرامج الدينية صورة وسطية الإسلام بشكل صحيح وفهم صحيح.

(١٩) جاء في صدارة الموضوعات التي تقدمها البرامج الدينية عينة الدراسة وتهم المراهقين (الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومكارم الأخلاق) في الترتيب الأول بنسبة ٢٦.٢٣%، يليه في الترتيب الثاني موضوعات (تقدم الثقافة الدينية التي يحتاجها المراهقين) بنسبة ٢٣.٤٦%، وفي الترتيب الثالث نجد (مناقشة الفكر المتطرف ومواجهته) جاء بنسبة ١٦.٦٧%، يليها في الترتيب الرابع موضوعات تناقش (صلة الرحم) وبر الوالدين بنسبة ١٥.٤٣%، فموضوعات تؤكد على (تحمل المسئولية) بنسبة ٧.٧٢%، أما في الترتيب الخامس فقد جاءت الموضوعات المتعلقة بـ(سلوك المراهقين في سن المراهقة) بنسبة ٦.٤٨%، فالموضوعات التي تناقش (الاختلاط بين الجنسين) ٢.٧٨%، وفي الترتيب السادس والأخير نجد (أخرى تذكر) بنسبة ١.٢٣% مثل حرية الرأي والحقوق والواجبات وغيرها من موضوعات.

وفي ظل ما نعيشه في عصر السموات المفتوحة ووسائل الاتصال والتواصل التي أصبح لها دور خطير في نشر الأفكار المتطرفة لا بد للبرامج الدينية أن تركز أكثر وأكثر على تفنيد هذه الأفكار المتطرفة، خاصة وأن المراهق نتيجة لرغبته الشديدة في التدين في هذه الفترة الفارقة في حياته قد يكون عُرضة لعمليات غسيل الدماغ من قِبل المتطرفين وذلك نتيجة لحداثة السن ومحدودية الثقافة الدينية وحماسته الدينية، والتي يجب علينا استخدامها وتطويعها في الاتجاه الصحيح، وتشجيعه على تحمل المسئولية تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه، وهذا ما يلح عليه الواقع الذي نعيشه.

(٢٠) ناقشت البرامج الدينية مفهوم وسطية الإسلام فقدمت هذه البرامج أن "الوسطية" تعني في المقام الأول صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان (مرونة التشريع الإسلامي) بنسبة ٣١.٤٨%، فالشريعة الإسلامية ليست قيوداً على الإنسان وحريته ورغباته، لكنها منظمة لأمور حياته بشكل عام وبين رغباته واحتياجاته، تصلح لكل زمن منذ بدء الوحي إلى قيام الساعة، فوضعت الأسس العامة التي لا بد أن يسير وفقها الإنسان في كل زمان ومكان لكنها تركت له مساحة من المرونة التي تيسر له التوافق والتكيف مع الزمان والمكان والبيئة التي يعيش فيها.

ثم جاء في المقام الثاني تقديم وسطية الإسلام أنها تعني (الاعتدال والبعد عن التطرف في الفكر والسلوك) بنسبة ٢٩.٦٣%، وفي المقام الثالث نجد (الوسطية تعني الفهم الصحيح للدين) بنسبة ٢٨.٨٩%، ثم يأتي في المقام الرابع أن الوسطية هي (أحدأهم سمات الإسلام وأسسه) بنسبة ٥.٥٦%، ثم في المقام الخامس والأخير أنها تعني (الوسطية هي أمر دخيل على الإسلام ويعني التهاون في الحدود والأحكام) بنسبة ٤.٤٤%، يتبين لنا من هذه النتائج أن أكثر من ٩٥% من البرامج الدينية يقترب من تقديم الصورة الصحيحة لـ"وسطية الإسلام".

في حين أن هناك بعض البرامج تقدم الإسلام بصورة خاطئة ومتشددة وقد تركزت هذه الصورة السلبية في البرامج المقدمة في قناة البصيرة بشكل عام وبرامج الأئمة المضلون، وفقه الدعوة والتي يقدمها د/ محمد الرضواني، حيث يسخر ممن يخالفه في الرأي والاجتهاد ويشكك في العلماء ولا يعترف بضرورة الاجتهاد لفهم النصوص والأحكام، وهذه الصورة بعيدة كل البعد عن وسطية الإسلام وتؤدي إلى تقديم صورة مغلوطة ومتشددة للدين داعية إلى التطرف في الفكر والسلوك.

(٢١) ٨٥.٧٢% من ضيوف البرامج الدينية عينة الدراسة اتجاههم إيجابي نحو مفهوم وسطية الإسلام، بينما يأتي من لديهم اتجاه سلبي نحو مفوم الوسطية في نفس المرتبة مع من اتجاههم غير واضح من ضيوف البرامج الدينية عينة الدراسة حيث جاء كل من الاتجاه المحايد، والاتجاه السلبي بنسبة ٧.١٤% من ضيوف البرامج الدينية.

(٢٢) أول الحلول التي تم مناقشتها في البرامج الدينية للقضاء على التطرف الفكري والديني هو (المناقشة والحوار والإقناع) وذلك بنسبة ٦١.٥٠% من نسبة الحلول المقترحة في البرامج عينة الدراسة، ولا بد هنا أن نؤكد أن هذا الحل طُرح في البرامج عينة الدراسة قبل أن ينزع أصحاب الفكر المتطرف إلى العنف أي في المرحلة التي تسبق اعتناق هذا الفكر أصلاً وهي مرحلة الشك والحيرة والبحث عن الحقيقة، أما عند نزوع أصحاب هذا الفكر إلى العنف وحمل السلاح ضد أفراد المجتمع ومؤسساته وهيئاته فهنا يأتي دور الحل الثاني وهو (التصدي للمتطرفين بالقوة) وقد جاء هذا الحل بنسبة ٢١.٣٩% كردع لهؤلاء المتطرفين وعلاج لانحرافهم عن الطريق الوسطي المستقيم، وقد جاء حل (تحسين الأحوال المعيشية للمواطنين) في المرتبة الثالثة بنسبة ١٧.١١% وذلك في إطار علاج الأسباب التي قد تدفع الإنسان لاعتناق هذه الأفكار المتطرفة.

فكثيرًا ما تكون الأحوال المعيشية السيئة والفقر والحاجة والشعور بالظلم الاجتماعي وعدم العدل في الحقوق والواجبات بين المواطنيين دافعًا ومحفزًا لاتجاهات التطرف والرغبة في تحقيق ما يتصوره من عدل حتى ولو بفرض هذا العدل بالقوة، وخاصة عندما يقارن صاحب الاتجاه المتطرف بين النظام الاجتماعي في دولة الإسلام وقت مجدها وفي النظام الاجتماعي الذي يشوبه القصور الآن، فالظلم والفقر والبطالة والعوز قد يشحن الإنسان بالرغبة في تغيير هذا الواقع ولو بالقوة ولو بالعنف، ويشحنه بمشاعر سلبية من إحباط وكراهية تجاه كل من تسبب في هذه الظروف المجتمعية فيسخط على المجتمع ومؤسساته ويرى أنه هو وحد على الصواب ولا بد أن يتبعه الجميع وإلا يكونوا في حزب الشيطان ضد حزبه حزب الحق -من وجهة نظره- من خلال ذلك لا بُدّ أن نؤكد على سد الفجوة والقصور في الجانب الديني والدعوي لمؤسسات الدولة المختلفة في المدرسة والمسجد ووسائل الإعلام وفي الدراما والبرامج الدينية والثقافية، فلا بد من محاربة الجهل الديني والفكري وفتح كل قنوات الحوار مع كل الأطياف الفكرية في المجتمع ومعالجة الفكر بالفكر قبل أن يضطرنا اصحاب الفكر المتطرف والمنظمات الإرهابية إلى بتر أعضاء من المجتمع بالقوة وبسفك الدماء مما يجعل كل المجتمع خاسرًا في هذه المعركة.

في هذا الشأن تؤكد نتائج الجانب الميداني للدراسة على نفس النتائج حيث جاء في الترتيب الأول (الحوار والمناقشة واستخدام الحجة والمناظرة) بنسبة بلغت ٢٦.٦٧% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، ويكون هذا الحل هو الأمثل في البداية وذلك لعلاج الاتجاهات المتطرفة في بدايتها خاصة لدى المراهقين قبل أن تصبح اتجاهات ثابتة ودائمة، وجاء في الترتيب الثاني (تحسين الأحوال المعيشية)، حيث جاءت بنسبة٢٠.٤٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

وجاء في الترتيب الثالث (التدقيق في اختيار الدعاة والأئمة وخطباء المساجد والزوايا)، حيث جاءت بنسبة ١٦.٥١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وقد بدأت وزارة الأوقاف فعلاً في تقنين وضع خطباء المساجد والزوايا وبدأت في إصلاح المنظومة الدعوية في المساجد وكان ضمن هذه الإصلاحات وضع ما يعرف "الموضوع الموحد لخطبة الجمعة" وذلك ليعد الخطيب خطبته في إطار هذا الموضوع ولكن بالأسلوب الذي يتناسب مع البيئة المحيطة بالمسجد الذي ستكون فيه الخطبة، ولا يترك موضوع خطبة الجمعة للآراء أو للأهواء الشخصية للدعاة. وجاء في الترتيب الرابع (منع عرض ما يثير العنف والكراهية في المجتمع في وسائل الإعلام)، حيث جاءت بنسبة ١٥.٧١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

وجاء في الترتيب الخامس (كل ما سبق) بنسبة ١٢.٢٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب السادس (التصدي للمتطرفين بالقوة) بنسبة ١٠.٤٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، ويكون هذا الحل هو الحل الأخير بعد عدم نجاح الحلول السابقة بالدرجة المرجوة مما ينتج عن ذلك وجود متطرفين يعرقلون أمن المجتمع وسلامته فيصبح بالضرورة مواجهة القوة بالقوة وذلك للردع والتأمين والإصلاح.

(٢٣) أما من حيث توفر السمات السلبية والإيجابية بالبرامج الدينية عينة الدراسة نجد أن: تتسم ٨٩.٢٩ % من البرامج الدينية المقدمة بالفضائيات بالسمات الإيجابية من حيث توفر الشكل الجذاب للبرامج الدينية بالإضافة إلى المضمون الجيد المُقدم بالأسلوب المناسب وفي التوقيت المناسب وبالضيف المناسب والمتخصص، في حين أن ١٠.٧١% من البرامج خاصة تلك البرامج المقدمة في قناة البصيرة تتصف بالسمات السلبية من حيث شكل البرنامج وطول مدة الحلقة والمضمون المقدم والأسلوب المُقدم به هذا المضمون، وعدم استخدام أي وسيلة من وسائل جذب المشاهد سواء الأساليب الفنية أو الإخراجية ظنًا من أصحاب هذه القناة والقائمين عليها أن هذه الأساليب الفنية حرام ولا بد من تقديم المضمون الديني بعيدًا عن هذه المحرمات من تصوير جيد، وإضاءة

وموسيقى وتترات والاستعانة بضيوف من غير أصحاب القناة (يقوم كل منهم بتقديم عدة برامج ومعظمهم من عائلة واحدة).

(٢٤) من خلال تحليل مضمون البرامج عينة الدراسة نجد أن أكثر من ٨٥% من البرامج عينة الدراسة تتمتع بالسمات الإيجابية كلها أو بعض منها من حيث الشكل أو المضمون حيث جاء وقت العرض مناسب للمراهقين في المركز الأول بنسبة ١٩.٦١%، بعد ذلك تأتي سمة (ضيوفه على درجة عالية من الثقافة) في الترتيب الثاني بنسبة ١٨.٢٨%، ثم (يعتمد على الأساليب المنطقية في الإقناع) في الترتيب الثالث بنسبة ١٥.٤٥%، أما في الترتيب الرابع فتأتي سمة (أسلوبه شيق وجذاب) بنسبة ١٣.٠٨%، بينما نجد في الترتيب الخامس (يحث على التسامح والعفو) بنسبة ١٢.٦٣%، وفي الترتيب السادس نجد سمة (يستخدم أساليب فنية وإخراجية جذابة) بنسبة ١١.٢٩%.

(٢٥) من خلال تحليل مضمون البرامج عينة الدراسة والتي تم تحليلها بناء على نتائج الدراسة الاستطلاعية تبين للباحثة أن السمات السلبية فيها قليلة جداً، بينما لاحظت الباحثة وجود هذه السمات السلبية في برامج إحدى القنوات الدينية الخاصة والتي لم تشر إليها نتائج الدراسة الاستطلاعية، فقامت بتحليل مضمون أحد هذه البرامج وهو برنامج "الأئمة المُضلون".

وللتأكد من نتائج التحليل تابعت الباحثة أكثر من برنامج على نفس القناة فتبين وجود سمات سلبية واضحة في برامج هذه القناة بشكل عام وليس برنامجًا واحدًا مما يشير إلى أن هذه السمات ناتجة عن سياسة وإدارة القناة كلها بشكل عام، حيث جاءت سمة (استخدام أساليب إنشائية مملة) وسمة (لا يحترام آراء من يخالفه الرأي والاجتهاد ويشكك فيهم) في المرتبة الأولى بنفس النسبة، بينما جاءت سمة (لا يستخدم الأساليب الفنية والإخراجية الجاذبة) وسمة (اتجاهات البرنامج متعصبة) في المرتبة الثانية بنسبة ١٠.٥٩%، وفي المرتبة الثالثة جاءت سمة (تأويل الآيات في غير مكانها) بنسبة ٨.٨٢%، وفي الترتيب الرابع جاءت السمات التالية (يعتمد على أساليب الترهيب والانفعال)، (ضيوفه يتسمون بالعبوس)، (أسلوبه ممل ومتحيز)، (يخلط الدين بالسياسة)، (طول مدة الحلقة) بنفس النسبة وهي ٧.٠٦%، أما في الترتيب الأخير فقد جاءت سمة (ضيوفه يتحدثون بانفعال وطبقات الصوت المرتفعة) بنسبة ٦.٤٦%.

(٢٦) ولمعرفة تأثير النشأة الدينية للمراهقين على تكوين الصورة الذهنية لديهم عن وسطية الإسلام فقد وضعت عدة تساؤلات للوقوف على النشأة الدينية للمراهقين وهذه التساؤلات هي: الذهاب للكُتاب لحفظ القرآن الكريم، ومدى استفادة المراهقين من حصص التربية الدينية بالمدرسة.

حيث أشارت النتائج إلى أن نسبة من يذهب لحفظ القرآن الكريم من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٦٠٠٠% موزعة بين ٥٨٠٩% من إجمالي مفردات عينة الذكور في مقابل ٦١٠٢% من إجمالي مفردات عينة الإناث، وبلغت نسبة من لا يذهبون إلى حفظ القرآن الكريم من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٢٣٠٨%، بينما بلغت نسبة من يأتي الشيخ إلى منزله ليحفظه القرآن الكريم من إجمالي مفردات عينة الدراسة ١٦٠٢%، ومما لا شك فيه أن حفظ الطفل والمراهق للقرآن الكريم يؤثر بشكل إيجابي في مدى وعيه وثقافته الدينية، وكان الكُتّاب يؤدي هذا الدور بجدارة في مصر خاصة في القرى ومحافظات الوجه البحري والصعيد، وقد وضعت الباحثة هذا التساؤل ضمن عدة تساؤلات لمعرفة النشأة الدينية للمبحوثين ومدى تأثير هذه النشأة على دقة مفهومهم عن وسطية الإسلام، أما من حيث مدى استفادة المبحوثين من حصص التربية الدينية بالمدرسة فأشارت النتائج إلى أن نسبة من يستفيدون (دائمًا) من حصص التربية الدينية بالمدرسة من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٥٧٠٧%، وبلغت نسبة من يستفيدون من حصص التربية الدينية بالمدرسة (أحيانًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٣٨٠٢%، بينما بلغت نسبة من لا يستفيدون (أبدًا) من حصص التربية الدينية بالمدرسة من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٤٠٢%.

ولذلك تأتي المدرسة في المرتبة الثالثة بعد المنزل والمسجد من حيث ترتيبها في مصادر المبحوثين التي يعتمدون عليها في الحصول على ثقافتهم الدينية، ومن خلال نتائج الجدول السابق تؤكد الباحثة على ضرورة إعادة الاهتمام بالحصص الدينية وجعلها في المكانة التي تُمكن المربين من مواجهة المفاهيم الدينية المغلوطة والأفكار والاتجاهات المتطرفة قبل أن يتم تثبيتها لدى المراهقين كاتجاهات دائمة وثابتة تؤدي إلى خطورة على حياة وأمن المراهق والمجتمع حيث أن هذه الحصص لها قدرة على التأثير على ٩٥.٧% من المراهقين من حيث مكونات اتجاهاتهم من مفاهيم ومعلومات وثقافة دينية عامة.

أما أهم مظاهر استفادة المبحوثين من حصص التربية الدينية في المدرسة في تكوين مفهومهم الصحيح للدين، حيث جاء في الترتيب الأول (لها دور قوي جداً في تكوين ثقافتي الدينية)، حيث جاء بنسبة بلغت ٦٢.٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (لا أعتمد عليها بل أعتمد على مصادر أخرى لتكوين فهمي الصحيح للدين)، حيث جاءت بنسبة ٢١.٤% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثالث عبارة (هي حصص روتينية ودورها ضعيف)، حيث جاءت بنسبة ١٥.٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

وبالرغم من الدور الحيوي الذي تؤدية حصص التربية الدينية في التنشئة والتثقيف الديني للمراهقين إلا أن الاهتمام بهذه الحصص أخذ في التناقص في السنوات السابقة إلى أن وصل الآن أن حصة التربية الدينية لم تعد حصة أساسية في مدارس المرحلة الثانوية وتم تهمشيها، وكثيرًا ما يتم حذفها من جدول الحصص اليومي لطلاب المرحلة الثانوية، أو يتم شرحها كجزء بسيط من حصص اللغة العربية، وهذا من واقع عمل الباحثة كمعلمة في إحدى مدارس المرحلة الثانوية.

(٢٧) أما لمعرفة ترتيب البرامج والفقرات الدينية في مصادر المبحوثين للحصول على ثقافتهم الدينية تشير نتائج اختيارات المبحوثون إلى ترتيب المصادر التى يحصلون على ثقافتهم الدينية وجاءت على النحو التالي: جاء في الترتيب الأول (المنزل) بوزن مئوي بلغت نسبته 27.4%، وجاء في الترتيب الثاني (المسجد) بوزن مئوي بلغت نسبته 24.5%، وجاء في الترتيب الثالث (المدرسة) بوزن مئوي بلغت نسبته 20.0%، جاء في الترتيب الرابع (البرامج والقنوات الدينية) بوزن مئوي بلغت نسبته15.5%، مما يشير إلى أن تأثير الاتصال الجماهيري (غير المباشر) خاصة وسائل الإعلام المرئي والمسموع يأتي في المرتبة الثانية من حيث اعتماد المراهقون عليها بعد مصادر الاتصال المباشر في المنزل والمسجد والمدرسة.

وجاء في الترتيب الخامس (شبكة الإنترنت) بوزن مئوي بلغت نسبته ١٢,٦% وهذا يوضح ضرورة استعانة القائمين على وسائل الإعلام من قنوات فضائية دينية، وإذاعات، وصحف ومجلات دينية متخصصة أن يستغلوا اعتماد المبحوث على شبكة الإنترنت كأحد مصادر المعلومات والمعارف والثقافة الدينية وذلك بإتاحة المضمون الديني لكل وسيلة على شبكة الإنترنت وخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك وتويتر ومواقع الفيديو مثل اليوتيوب، ومن الملاحظ أنه بدأ الاهتمام بذلك بحيث أصبح لكل قناة، أو إذاعة، أو مجلة موقع على الفيس بوك، أو توتير، أو قناة على اليوتيوب، وذلك في استغلال جيد لهذه التقنيات، ومن ناحية أخرى توضح نتائج الجدول السابق إلى أن ترتيب البرامج الدينية يأتي في المرتبة الرابعة مما يؤكد على أهمية ودور الاتصال المباشر في المنزل والمسجد والمدرسة في تكوين ثقافة المراهقين، ومن خلال هذا المنطلق نؤكد على أن الفهم الصحيح للدين وعلاج التطرف يبدأ من المنزل ثم المسجد ثم المدرسة.

(٢٨) وتشير النتائج أن نسبة من يشاهدون الفقرات الدينية في البرامج العامة التي تذاع على الفضائيات المصرية والعربية (دائمًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ١٩.٨%.

وبلغت نسبة من يشاهدون الفقرات الدينية في البرامج العامة التى تذاع على الفضائيات المصرية والعربية (أحيانًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٧٧.٣%، بينما بلغت نسبة من لا يشاهدون الفقرات الدينية في البرامج العامة التى تذاع على الفضائيات المصرية والعربية (أبدًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٢.٨% موزعة بين ٥.٤% من إجمالي مفردات عينة الذكور في مقابل صفر% من إجمالي مفردات عينة الإناث، أي أن نسبة ١٠٠% من المبحوثين يشاهدون الفقرات الدينية في البرامج العامة ما بين دائمًا وأحيانًا، في حين أن نسبة من يتابعون القنوات الدينية المتخصصة (دائمًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ١٥.٥٢%، وبلغت نسبة من يتابعون القنوات الدينية (أحيانًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٨٠.٤٨%، بينما بلغت نسبة من (أبدًا) يتابعون القنوات الدينية المتخصصة من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٤%، كما تشير النتائج حيث أن نسبة من يشاهدون البرامج الدينية على القنوات الفضائية (بانتظام) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ١٣.٢٨%، وبلغت نسبة من يشاهدون البرامج الدينية على القنوات الفضائية (في شهر رمضان فقط) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٢٠.١٦%، بينما بلغت نسبة من يشاهدون البرامج الدينية على القنوات الفضائية (بالصدفة) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٦٦.٥٦%.

وعدم انتظام المبحوثين في مشاهدة البرامج الدينية، وبلغت نسبة من لا يشاهدون البرامج الدينية على القنوات الفضائية (مطلقًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت صفر%؛ أي أن نسبة ١٠٠% من المبحوثين يشاهدون البرامج الدينية المتخصصة ما بين (بانتظام، في شهر رمضان فقط، بالصدفة) ومما يزيد من نسبة مشاهدة هذه البرامج أنه يتم إعادة بثها مما يزيد من فرص مشاهدة المبحوثين لها.

هذا بالإضافة إلى إتاحة هذه البرامج على موقع اليوتيوب ومواقع التواصل الاجتماعي، ومن خلال النتائج السابقة يتضح لنا أحد أسباب ضعف تأثير البرامج الدينية وتراجع ترتيبها إلى المركز الرابع في قائمة مصادر المراهقين للحصول على ثقافتهم الدينية، وهذا السبب هو أن ٨٨% من المراهقين تقريبًا لا يشاهدون البرامج الدينية بانتظام مما يجعل تأثيرها عليهم ضعيفًا، ويضعها في الترتيب الرابع من حيث مصادر معلومات وثقافة المرهقين، حيث أن الدراسات السابقة في بحث دور وتأثير المضمون الإعلامي يشير إلى أنه كلما زادت كثافة تعرض الجمهور للمضمون كان تأثيره أكبر أي أن تأثير المضمون المُقدم في وسائل الإعلام يتناسب طرديًا مع كثافة تعرض الجمهور لهذا المضمون.

(٢٩) كما تشير النتائج التفصيلية أن نسبة من يرون أن البرامج الدينية تقدم موضوعات لها علاقة مباشرة بالمرحلة العمرية للمبحوثين من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٣٥٠٠% قالوا (نعم)، وبلغت نسبة من يرون أن البرامج الدينية تقدم موضوعات لها علاقة مباشرة بالمرحلة العمرية للمبحوثين (أحيانا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٥٨٠٥%، بينما بلغت نسبة أن البرامج الدينية من قالوا (لا) تقدم موضوعات لها علاقة مباشرة بالمرحلة العمرية للمبحوثين من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٦٠٥%.

(٣٠) أهم الموضوعات التى تقدمها البرامج الدينية التى يشاهدها المبحوثون، حيث جاء في الترتيب الأول (تقدم لي الثقافة الدينية التي أحتاجها)، حيث جاء بنسبة بلغت ٥١٠١٤% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (سلوك المراهقين في سن المراهقة)، حيث جاءت بنسبة ٢٤٠٨٧% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثالث (أسباب التطرف والإرهاب وكيفية مواجهته)، حيث جاءت بنسبة ١٤٠٨٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الرابع (الاختلاط)، حيث جاءت بنسبة ٩٠١٧% من إجمالي مفردات من يشاهدون عينة الدراسة.

وبالرغم من وجود فروق بين الذكور والإناث في الموضوعات المُقدمة في البرامج الدينية إلا أن هذه الفروق غير دالة أي أن عامل (نوع المبحوث غير مؤثر في درجة أهمية الموضوعات التي يشاهدها المبحوثون في البرامج الدينية ومن هنا نجد أن أكثر من نصف المبحوثين يشاهدون البرامج الدينية للحصول على الثقافة الدينية العامة أولاً، بينما تأتي الموضوعات التي تمسهم مباشرة مثل سلوك المراهقين والاختلاط في الترتيب الثاني والترتيب الرابع من أولوياتهم في مشاهدة هذه البرامج، ولذلك لا بد من إعادة النظر في أسلوب وطريقة تقديم هذه الموضوعات للمراهقين من خلال البرامج الدينية.

(٣١) أهم القنوات الدينية التى يفضل المبحوثون عينة الدراسة متابعتها، حيث جاء في الترتيب الأول (قنوات للقرآن الكريم فقط مثل: المجد- المصحف- القرآن الكريم- غيرها)، حيث جاء بنسبة بلغت ٢٥.٨٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (قناة الرحمة)، حيث جاءت بنسبة ٢٤.٥١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة وجاء في الترتيب الثالث (قناة الحياة والناس)، حيث جاءت بنسبة ٢٢.٣٩% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الرابع (قناة الناس) حيث جاءت بنسبة ٢٠.٤٣% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

وجاء في الترتيب الخامس (قناة إقرأ) حيث جاءت بنسبة ١٨.٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب السادس (قناة أزهري) حيث جاءت بنسبة ١٦.٥٠% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب السابع (قناة الفتح) حيث جاءت بنسبة ١١.٧٦% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب السابع مكرر (قناة نور النهار) حيث جاءت بنسبة ١١.٧٦% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثامن (قناة الأزهر) حيث جاءت بنسبة ٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب التاسع (قناة الحافظ قبل إغلاقها) حيث جاءت بنسبة ٥.٧٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

(٣٢) أما من حيث تفضيل المبحوثين لقنوات دينية معينة تشير النتائج الميدانية أن نسبة من يفضلون (القنوات التى يشرف عليها الأزهر مثل قناة أزهري، الناس الجديدة) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٢٣.٤٢%، وبلغت نسبة من يفضلون القنوات الدينية الخاصة مثل قناة الرحمة، الحياة والناس) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٣٤.٦٥%، بينما بلغت نسبة من يفضلون (الاثنين معًا) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٤١.٩٣%، ونلاحظ أن ما يزيد عن ٦٥% من المبحوثين يتابعون القنوات التي يشرف عليها الأزهر ويقدمها علماؤه.

وذلك إما للثقة في مؤسسة الأزهر بشكل عام، أو للثقة في شخصيات العلماء المقدمين للمضمون في هذه البرامج مما يؤكد على أهمية دور الأزهر في علاج الفكر والاتجاهات المتطرفة والمفاهيم المغلوطة وتجديد أسلوب الخطاب الديني وطريقة تناول المضمون الديني في الإعلام وعرضه بأسلوب يجمع بين المعلومة الدينية الصحيحة والشكل الفني الجذاب.

(٣٣) تشير نتائج الدراسة إلى أن أهم أسباب تفضيل المبحوثين عينة الدراسة لمتابعة القنوات الدينية التى يشرف عليها الأزهر من حيث النسبة جاء في الترتيب الأول (جميع ما سبق)، حيث جاء بنسبة بلغت ٥٢.٥% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (ثقتي في الأزهر كمؤسسة دينية)، حيث جاءت بنسبة ٢٢.٥% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثالث (تطرح القضايا التى تخدم المجتمع بأسلوب جيد)، حيث جاءت بنسبة ١٤.٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الرابع (تراعي حاجات الناس واختلافهم)، حيث جاءت بنسبة ٩.٧% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الخامس (العلماء والشخصيات المستضافة مناسبة ومتخصصة)، حيث جاءت بنسبة ٧.٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

وقد أوضح بعض المبحوثين في تعليقات جانبية أن سبب متابعتهم للقنوات التي يشرف عليها الأزهر يعود إلى ثقتهم في بعض الأئمة والشيوخ في هذه القنوات وليس لثقتهم في الأزهر، حيث إنهم كانوا يثقوا في الأزهر في الماضي أكثر من الفترة الحالية (وقت إجراء الدراسة)، وجاء في الترتيب السادس (تقضي على تشتت الفتاوى وتضاربها)، حيث جاءت بنسبة ٧٠٠% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب السابع (تُلِم بالقضايا المعاصرة وتواجه تحديات العصر)، حيث جاءت بنسبة ٣٠٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثامن (تعكس صورة طيبة عن الإسلام والمسلمين)، حيث جاءت بنسبة ٢٠٩% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

(٣٤) أهم أسباب عدم مشاهدة القنوات الدينية التى يشرف عليها الأزهر، حيث جاء في الترتيب الأول (كل ما سبق)، حيث جاء بنسبة بلغت ٣٥٠٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (عدم التجديد في أسلوب الدعاة والعلماء)، حيث جاءت بنسبة ٢٨٠٦% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، ويتضمن عدم التجديد في الأسلوب هنا عدم التجديد في الجوانب الفنية والإخراجية بالاضافة إلى التجديد في طريقة وأسلوب تقديم المضمون الديني نفسه وفي أسلوب مقدم المضمون أيضًا، وجاء في الترتيب الثالث (لعدم ثقتي في الأزهر).

حيث جاءت بنسبة ٢٦.٦% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الرابع (ليست قنوات حيادية)، حيث جاءت بنسبة ٢٤.١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وهذا الجدول يمثل رأي ٣٤.٨٠% من المراهقين الذين قالوا لا نشاهد القنوات التي يشرف عليها الأزهر ويكتفون فقط بالقنوات الدينية الخاصة، حيث إنها تعرض القضايا الدينية وحلولها بطريقة تتوافق مع ما تريده الحكومة مما يجعل هذه القنوات لا تحظى بثقة من يعارض الحكومة في الرأي والتوجه السياسي وهذا يوضحه اختيار ٥٠% من المبحوثين الذين لا يشاهدون هذه القنوات التي يشرف عليها الأزهر لهذين السببين (ليست قنوات حيادية، ولعدم ثقتي في الأزهر).

(٣٥) نسبة من يرون أن البرامج الدينية بالفضائيات العامة والدينية المتخصصة تعكس اعتدال الإسلام وسماحته ووسطيته (نعم) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٣٤.٦٥%، وبلغت نسبة من يرون أن البرامج الدينية بالفضائيات العامة والدينية المتخصصة تعكس اعتدال الإسلام وسماحته ووسطيته (إلى حدٍ ما) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٥٥.٨٦%، بينما بلغت نسبة من يرون أن البرامج الدينية بالفضائيات العامة والدينية المتخصصة (لا) تعكس اعتدال الإسلام وسماحته ووسطيته من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٩.٤٩%.

(٣٦) ومن حيث نوعية البرامج التى يفضلها المبحوثون عينة الدراسة، حيث جاء في الترتيب الأول (برامج الحديث المباشر/ الضيف الواحد مثل حديث الروح وخواطر الشعراوي)، حيث جاء بنسبة بلغت ٥٥.٢٦% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (البرامج التى تعتمد على أسئلة المشاهدين والفتاوى)، حيث جاءت بنسبة ٢٥.٨٢% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثالث (برامج المناقشات بين أكثر من ضيف)، حيث جاءت بنسبة ١٨.٩١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

(٣٧) تشير نتائج الدراسة إلى أن أهم ما تحتاجه البرامج الدينية لكي تعكس الصورة الصحيحة للإسلام حيث جاء في الترتيب الأول (التجديد والتنوع في القضايا التى تتناولها)، حيث جاء بنسبة بلغت ٢٨.٣٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثاني (أن تلائم طريقة المعالجة متغيرات الواقع)، حيث جاءت بنسبة ٢٥.٠٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الثالث (كل ما سبق)، حيث جاءت بنسبة ٢١.٩٥% من إجمالي مفردات عينة الدراسة، وجاء في الترتيب الرابع (التدقيق في اختيار الضيوف وفق ثقافتهم وقدرتهم على الإقناع)، حيث جاءت بنسبة ١٥.٦٨% من إجمالي مفردات عينة الدراسة،

وجاء في الترتيب الخامس (تكثيف عوامل الجذب والتشويق إعلامياً)، حيث جاءت بنسبة ٨٠٩١% من إجمالي مفردات عينة الدراسة.

(٣٨) يتضح لنا أن ٨٨٠١٣% من المبحوثين يقتربون بصورة أو بأخرى من المفهوم الصحيح لوسطية الإسلام، وقد اتضح ذلك من بيانات الجدول السابق بالإضافة إلى التعليقات الجانبية والتعريفات التي كتبها بعض المبحوثين في استمارة الاستبيان، في حين أن ١١٠٨٧% من المبحوثين يظنون خطأً أن وسطية الإسلام تعني التهاون في العقوبات والحدود، أو أنها ترويج لفكر بعيد عن الدين الإسلامي وهذا اعتقاد خاطئ على المؤسسات الدينية تكثيف جهودها الدعوية والإعلامية لتصحيح هذه الصورة الذهنية الخاطئة.

(٣٩) تؤكد نتائج الجانب الميداني للدراسة أن أكثر من ٧٥% من المبحوثين لديهم الفهم الصحيح للتطرف الديني وقد يرجع ذلك إلى الأحداث التي تواجهها مصر خاصة والعالم بصفة عامة من الحرب العسكرية والفكرية والإعلامية للإرهاب والمتطرفين، وقد زاد ذلك من كثافة التعرض لمناقشة الفكر المتطرف والإرهاب في وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة.

(٤٠) تشير نتائج الدراسة إلى أن نسبة من لديه اتجاه إيجابي من المراهقين نحو وسطية الإسلام (الوسطية هي أحد أسس الإسلام وهي شيء جيد) من إجمالي مفردات عينة الدراسة بلغت ٢٢.٤٧%، وبلغت نسبة من لديه اتجاه محايد (لا أعرف معنى الوسطية) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٥٢.٠٦% بينما بلغت نسبة من لديه اتجاه سلبي (الوسطية معناها التهاون في الحدود والعقوبات وهي مفهوم دخيل على الإسلام) من إجمالي مفردات عينة الدراسة ٢٥.٤٧، وتوجد علاقة دالة إحصائيًا بين النوع (ذكور- إناث) واتجاهات المبحوثين- إجمالي مفردات عينة الدراسة- نحو مفهوم الوسطية.

من هنا نجد أن البرامج والفقرات الدينية المقدمة في الفضائيات عامل رئيس في تكوين الصورة الذهنية عن وسطية الإسلام لدى المراهقين وتحصينهم ضد المفاهيم المتطرفة من تشدد وتكفير وإلحاد بدلا من تركهم فريسة للقنوات المتطرفة.

كثيرون منا شاهدوا فيديوهات للجماعات المتطرفة (داعش وأنصار بيت المقدس وغيرها) أثناء تنفيذهم عملياتهم الوحشية من إعدام جماعي للرهائن الأبرياء، ولاحظنا استخدام وسائل اخراجية من صوت وصورة وألوان وحركة كاميرا وغيرها من وسائل إخراج لجذب متابعين ثم مناصرين ومؤيدين ثم مجاهدين، وغالبًا أفكار هذه الجماعات تجد لها صدى بين المراهقين.

الفصل الثالث

وسطية الإسلام طريقك بين التطرف والإلحاد

- تمهيد.
- وسطية الإسلام طريقك بين التطرف والإلحاد.
- أسباب انتشار الاتجاهات الفكرية المتناقضة دينياً.
- قصص العابرين من التطرف للإلحاد!
- كيف نواجه النقيضين التطرف والإلحاد.
- البحث عن السعادة المفقودة.
- النمو الديني للمراهقين واتجاهاتهم نحو مفهوم الوسطية.
- دور البرامج الدينية بالقنوات الفضائية في التأثير على اتجاهات المراهقين نحو وسطية الإسلام.
- خاتمة وتوصيات.
- بحوث مستقبلية.

تمهيد

من المخيف حقًا في مجتمعنا العربي الذي صدر الدين لكل العالم بالعلم والعمل والأخلاق والإقناع، أثناء بحثي على وسائل التواصل الاجتماعي عن الإلحاد أن أجد كمًا مخيفا من الصفحات والمجموعات والتي تدعو إلى نبذ الأديان صراحة وذلك في زعمهم لأنها تؤدي إلى العنف، وهذه الصفحات يلبس القائمون عليها ثوب الفضيلة والإنسانية والتحرر، هذه الدعوات والصفحات تتغافل دومًا عن حقائق معلومة لمعظم الناس، أولها أنه إذا كان العنف مصدره الدين فلمَ يفسرون ارتفاع معدلات العنف في دول تختلف أديانها بين أديان سماوية وأديان وضعية؟

وأن الإسلام كدين كفل حرية الرأي والاعتقاد والتعبير للآخر شرط ألا يضر غيره من الناس، وأن المسلمين هم أكثر المتضررين من الجماعات المرجفة التكفيرية الدموية، فلو كان العنف ناجمًا من قواعد الإسلام كدين فلمَ لم ينجُ منه المسلمون في كل بقاع العالم؟

وجدت هذه الصفحات للأسف تلصق بالأديان كل بغيض ومكروه ووحشي، هم هنا (الملاحدة) لا يفرقون بين الدين كأحكام وشرائع وعقيدة وبين المسلمين، فأقول لهم هنا ما الفرق بين القانون والخارجين عن القانون؟

للأسف بعض من ينتسبون للإسلام من المرجفين والمتطرفين والدمويين ويحاربون باسم الدين مثل داعش وغيرها من جماعات لا تمثل الإسلام وسماحته وعظمته في شيء، هؤلاء الداعشيون أصبحوا حجة لهؤلاء الملاحدة لكره ونبذ الأديان وازدرائها.

* * * * *

اعلم عزيزي القاريء أن البحث في هذا الموضوع كمن يمشي في حقل ألغام، فالمتشدد نصب نفسه وسيطًا بين الناس وربهم وقرر تصنيفهم من يدخل الجنة ومن يدخل النار، ووضع نفسه قاضيًا يحاكمهم بل وينفذ حكمه بدعوى التدين والدين والإيمان، في حين أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾ الغاشية: ٢٥ - ٢٦

أما من ينكر الأديان فهو ليس على النقيض من الطرف الأول (التكفيريين) وإنما هو على نفس الطريق ولكن في الاتجاه المعاكس، حيث إن الملحد يلصق كل خطأ أو ذنب أو جريمة يرتكبها أتباع أي دين يلصق هذه الجرائم أو الأخطاء أو الذنوب إلى الدين نفسه، ويدعي أصحاب هذا الاتجاه أن نجاة الإنسانية بالابتعاد عن الأديان التي هي ـمن وجهة نظرهمـ مصدر كل تعصب وعنف! وبدعوى الحرية والإنسانية يدعون الناس إلى إنكار وجود إله خالق لهذا الكون، والدين والإنسانية بريئون من الفريق الأول والفريق الثاني ولا يحق لأحدهما أو كلاهما معًا الحديث باسم الدين أو باسم الإنسانية؛ لأن كليهما بعيد عن الدين والإنسانية، فالأديان تسعى لأن تسمو روح الإنسان بالتواصل مع خالقها واللجوء إليه مع العمل والسعي في الدنيا.

والإسلام دين يدعو إلى الوسطية والاعتدال لا إفراط في السعي في الدنيا ولا تفريط في كل ما يقربنا إلى الله من قول وعمل، فليس في دين الإسلام رهبانية وانقطاع للعبادة فقط دون العمل، فالعبادة خلقنا من أجلها، وإتقان العمل عبادة حثنا عليها الإسلام.
يشير إحصاء أجرته شبكة الباروميتر العربي لصالح بي بي سي عربي إلى أن الناس في كل أنحاء العالم العربي أصبحوا أقل تديناً.

في العقد الأول من هذا القرن ظهر ما يسمى تنظيم الدولة الإسلامية في دول العراق والشام (داعش) وظهرت فيديوهات يردد فيها أعضاء هذه الجامعة آيات وأحاديث مجتزئة من نصوصها وحكمها ووضعوها في غير مكانها لتبرير الجرائم الوحشية التي يرتكبونها باسم الدين، ولبشاعة هذه الجرائم التي تقشعر لها الأبدان بدأ بعض المسلمين في الشك والتشكيك في أحكام وثوابت هذا الدين، ولمَ لا وقد استغل هؤلاء الداعشيون الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي لخدمة فكرهم وأجنداتهم الخاصة المرسلون بها من دول معينة تريد لنا أن نصفي أنفسنا بأنفسنا دون أن ينفقوا في قتالنا طلقة رصاص أو نقطة دم؟
فبدأت هذه الجماعات المتطرفة في جعل الناس تشك في أشياء تخص هذا الدين مثل الولاء والبراء والجهاد والخلافة.

فتلجأ التنظيمات الدموية المتطرفة لترويج فكرة أنهم من الفرق الناجية كذريعة لجذب الشباب، ثم تحول هذا الشباب المتخطف المسطح دينيًا من متدين إلى مكفر للمجتمع ثم مجاهد يحارب المجتمع ليغير ما فيه من منكرات وكفر بالسلاح لتعود الحاكمية لله ولدينه كما يدّعون، ولكن الحقيقة مغايرة لذلك، فهذه الجماعات تسعى للوصول إلى الحكم ولكن بمبدأ الطغاة الذين لا يرغبون في أن يعارضهم أحد أو يعترض على حكمهم أحد، فهم الخلفاء ويحكمون باسم الدين لذلك فهم فوق الجميع وهم الأقرب لله وطاعتهم واجبة على الجميع دون نقاش والولاء لهم ولجماعاتهم فقط ولا ولاء للأوطان، فالحدود وضعها المستعمر والولاء للأمة، وبذلك تتوسع رقعة الحكم ليكونوا حكامًا للأرض بأسرها.

* * * * *

أسباب انتشار الاتجاهات الفكرية المتناقضة دينيًا

سهلت التكنولوجيا ووسائل الاتصال والتواصل الحديثة انتشار الأفكار خاصة الغريبة والمتطرفة، خاصة تلك الأفكار الغريبة والمتناقضة والتي تجذب الناس بدافع الفضول أو محاولة الفهم أو الهشاشة الدينية، فتنتشر هذه الأفكار انتشار النار في الهشيم، فهناك مقدمات جاءت بمصيبة التفكير والتكفير الدموي، وهناك سياق وهناك ثمرة، فالمقدمات منها:

الأمية الدينية فقد حدث تقصير في تعليم الناس أصول وأحكام وعظمة شريعتهم فأصبحت عقول الناس خاوية من هذه الأصول والأحكام، فأصبحوا عرضة لكل من أراد اختطافهم بتلاوة آيات من القرآن اجتزئت من سياقها وأحاديث اجتزئت من سياقها وكذلك فتاوى وأحكام في غير زمانها لإقناع الناس بهذه المفاهيم والأفكار الدموية الوحشية، ففتوى أفتى بها بعض العلماء في وقت محاربة المغول والتتار اجتزئت من سياقها لتضع جزءًا من ابناء الوطن الواحد مكان المعتدين من المغول والتتار، والجزء الآخر مكان الشعوب العربية والإسلامية وهي تحارب هذا العدو، فأصبح أبناء الوطن الواحد أعداء يحارب كل منهم الآخر، فمن يعتنق هذه الأفكار يأتي عليه وقت يشك في هذه الآيات ووعد الله بالنصر والتمكين وهم لا يعلمون أن الآيات التي يتلونها لا تنطبق على حالهم لأنهم معتدون يسفكون دماء الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين.

فكلاهما لديهم سواء حيث يصفونهم بأنهم فئة كافرة باغية وأنهم وحدهم الفئة الناجية، هذا بالإضافة إلى ما تعانيه الشعوب العربية والإسلامية من ظروف وأوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية ساهمت في هذا التفكير الدموي، هذا بالإضافة إلى التقصير في الخطاب الديني في حرمة إراقة الدماء، فأصبحت إراقة دم إنسان لأنه يعتنق فكرًا معينًا أسهل من مناقشته وإقناعه في حين أننا جميعًا نعلم أن حرمة دم المسلم أشد عند الله من حرمة بيته الحرام، مما أدى إلى وجود الاتجاهات الفكرية المرجفة التكفيرية والتي تلبس القتل ثوب الجهاد والتقوى واستباحة الأرواح والدماء، فلم يعد لدى الناس وعي بالفرق بين الدين واستغلال الدين مما جعل بعض المتشددين الذين يحفظون القرآن أو بعض أجزائه والأحاديث يكونون أكثر حدة وتعصبًا عند إلحادهم من هؤلاء الذين ألحدوا عن جهل وعدم فهم للدين، فهؤلاء المتشددون غالوا في دينهم وتشددوا على نفسهم وغيرهم وحملوا أنفسهم ما لا تطيق فكانت النتيجة الانحراف وبقوة إلى الاتجاه المعاكس وهو الإلحاد.

وقد تم استغلال الوسائل التكنولوجية الحديثة على شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ومقومات الصوت والصورة والكلمة لتجنيد الشباب والمراهقين ليس فقط في التطرف والإرهاب بل وفي الدعارة والإلحاد أيضًا.

قصص العابرين من التطرف للإلحاد!

هناك قانون في الفيزياء يقول إن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، من هذا القانون يمكن فهم كيف انضم بعض من أعلنوا إلحادهم إلى الجماعات التي تدعي الجهاد باسم الدين مثل داعش وأنصار بيت المقدس والمرابطين وغيرها من الجماعات وما أكثرها هذه الأيام! وعلى النقيض كيف أن بعض المتشددين ممن يحفظون القرآن والأحاديث يتجهون هذه الأيام إلى إنكار الدين بل إنكار وجود إله (لا إله إلا الله) حيث يتساءلون كيف يواجه الإنسان هذا الكم من المشكلات والكوارث والكفر ولا يصلحه الله! وهنا نقول لهم لو أراد الله سبحانه لهدى الناس جميعًا، لكن الدنيا دار اختيار وابتلاء وليست جنة أو مدينة فاضلة وكل ما نعانيه هو نتيجة أفعالنا، فلم تكن الدنيا في بداية وجود الإنسان عليها إلا جنة ولكن معصية الإنسان وبعده عن خالقه حولتها إلى ما نحن عليه الآن.

فهذه قصة شابين لبنانيين (مصطفى وسليم) تخليا عن دياناتهما وحذفاها من هوياتهما، وهذا ليس مخالفًا للقانون اللبناني، حيث انخفضت نسبة من يصفون أنفسهم بالتدين بحوالي ٤٣% خلال العقد الماضي.

مصطفى وسليم يصفان تجربتهما من التطرف إلى الإلحاد بأن المعلومات الدينية المشوشة والتي تعلم للأطفال بطريقة سلبية تربي لديهم الشك في ثوابتهم الدينية والفكرية، فالأطفال عادة ما يسألون أسئلة عقائدية معقدة فيجيب عليهم والديهم ومعلموهم بسطحية دون اللجوء لأسلوب منطقي سليم يجعل هؤلاء الأطفال يكبرون دون تنمية وعيهم وفكرهم الديني وقدرتهم على النقد والتفكير، فكل ركن أو أمر من الدين الإسلامي له حكمة وهدف وغاية قد يدركها البعض فيصبح إيمانه ويقينه بالله تامًا، وقد يحاول البعض الفهم فينال شرف المحاولة، ويكتفي البعض الثالث بالقبول بالأمور كما هي دون تفكير أو فهم أو إدراك، وهذا النوع الثالث غالبًا ما يربي جيلا على التدين الإجباري دون إيمان صادق فيحاول المغالاة في التدين ليكبت صوت العقل والقلب بداخله حتى يصل إلى مرحلة عدم التحمل فيبدأ بالتخلي الكلي عن كل أفكاره ويتجه إلى الاتجاه المعاكس تماما، إلى مرحلة الإلحاد.

هناك حملات منظمة ومدروسة لتسطيح وتشويه المفاهيم والأسس الدينية للإسلام، كما أن هناك خطابًا دينيًا مغلوطًا وغير منهجي، بالإضافة إلى التضارب بين مبادئ دين الإسلام وسلوك كثير من المسلمين.

* * * * *

كيف نواجه النقيضتن التطرف والإلحاد

إقامة دعوات لندوات علمية ودينية لبناء العقيدة في نفوس الحائرين وفتح قنوات الحوار حول شكوكهم والشبهات التي يثيرها دعاة التضليل والمستشرقون قديمًا وحديثا، وقد أُلِّفت في هذا الصدد عددًا كبيرًا من الكتب والمجلدات لكنها تظل حبيسة أرفف المكتبات ولا تصل إلى العامة بالصورة المطلوبة، هذا بالإضافة إلى إنشاء مراكز متخصصة تعني برصد هذه الأفكار على كل المنابر الإعلامية سواء إذاعة أو راديو أو تليفزيون أو إنترنت بكل ما فيه من منصات يمكن أن تستغل كحوائط صد لرصد وتفنيد الفكر المتطرف والمتشدد من ناحية والإلحاد من ناحية أخرى.

وبالرغم من أن التطرف الديني والإلحاد نقيضان إلا أن كلا منهما مؤدٍ للآخر، ففي مجتمع يدعو إلى التخلي عن القيم والدين بدعوى التحرر تجد كثيرين من المتدينين يتمسكون بأفكارهم أكثر ويصبحون أكثر تعصبًا في الدفاع عنها بل والمغالاة والتشدد فيها ظنًا منهم أنهم بذلك يعلون كلمة الدين ويدافعون عن دين الله، ومع توفر بعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتربوية القاسية تدفع هؤلاء المتدينين إلى الرغبة في تغيير أفكار هذا المجتمع ولو بالقوة ويرددون في ذلك أن "المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف"، و"من رأى منكم منكرًا فليغيره".

ونجد أيضًا أن كلا الطرفين المتطرف والملحد يسعى للتشكيك في المؤسسات الدينية فهي في نظر التطرف الأول متهاونة في أحكام الله ولا تحكم بما أنزل الله، وبالنسبة للطرف الثاني هي مؤسسة تسعى لفرض سلطتها على الناس بدعوى دين الله ومرحلة المراهقة والشباب معروفة عند علماء النفس والاجتماع بأنها مرحلة التمرد والثورة على القيود والسلطات أيًا كانت هذه السلطات اجتماعية أو دينية أو سياسية، لذلك لا بد أن يراعى في الخطاب الديني أن يكون على علم بسيكولوجية المتلقي وأن يصدر هذا الخطاب الديني بشكل يؤنس القلوب ويطيب النفوس ويحبب الإنسان في دينه وعقيدته، أما واقع الخطاب الديني فيؤكد على أن هناك منابر لا تعرف من الإسلام غير النار وعذاب القبر واستخدام لغة التهديد والوعيد، وهذا الأسلوب لا يرقى إلى عظمة هذا الدين الذي انتشر بالحب والفكر والإقناع، وهذا الأسلوب بعيد تمامًا عن منهج الإسلام كما أنه بعيد عن الضوابط النفسية والإنسانية التي يتحلى بها المنهج الإسلامي، أي إذا وجد التشدد الديني.

وقد ربطت الجماعات والأحزاب الدينية نجاحها في الوصول إلى السلطة والسيطرة على الناس بالدين وكلما فشلوا في الوصول إلى السلطة أصبح المجتمع كافرا لا يحكم شرع الله ولا يحكم بما أنزل الله، أي أن نجاحهم نجاح للدين وفشلهم وفشل للدين وهذا غير صحيح بالمرة.

فلقد قال الله تعالى:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ **الكهف**: ٢٩

أي أن الإيمان عقيدة تترسخ داخل الإنسان، فالإيمان فطرة الله التي فطر الناس عليها فمن شاء أن يخرج عن هذه الفطرة فليخرج والله وحده من سيحاسبه على ذلك.

ويلوم كثير من المثقفين والإعلامين على سهولة المعلومة بسبب الانفتاح الإعلامي وعدم وجود رقابة أو ضبط أسري على المحتوى الذي يشاهده الأطفال والمراهقون دون مرشد أو رقيب أو موجّه وعدم وجود مناعة دينية تكفل محاربة الأفكار المتطرفة والمتشددة والملحدة، مما يؤدي إلى السقوط في فخ المتربصين خلف شاشات الكمبيوتر أو الهواتف الذكية.

* * * * *

البحث عن السعادة المفقودة

خلِق الإنسان من مادة وروح، فالمادة تنجذب إلى أصلها والروح تنجذب إلى خالقها رغبة من الإنسان في الحصول على السعادة المفقودة وسكون الروح، يسعى المتدين للحصول على سعادته من شعوره بأن الله سبحانه وتعالى راضٍ عنه وعن تدينه، ويظن أن كلما غالى وتشدد فيه رضي عنه الله سبحانه فيبدأ بالبعد عن وسطية الإسلام والبحث عن الأفكار والأحكام الأكثر صرامة وتشددًا، وخطوة خطوة يجد التناقض بين أفكاره وآرائه وأوضاع المجتمع والفكر السائد فيه، فيبدأ في النقمة على هذا المجتمع الذي يتهاون في تنفيذ شرع الله، ثم الخطوة الأخيرة وهي تكفير المجتمع نحن فيه.

هنا عزيزي القارئ نؤكد على ضرورة التدين وأن تكون في أعلى مراتب الإيمان لكن بالفهم الصحيح لهذا الدين السمح، فوسطية الإسلام بين الأديان والأفكار المعروفة هي طريقك الآمن بين نقيضين كلاهما طرق فاسدة لا تؤدي بك إلا إلى البعد عن الله وعن رضاه سبحانه وهما التشدد والإلحاد.

بداية طريقك للسعادة ونيل رضا الله هو أن تصلح نفسك وتقوّمها دائمًا وتربيها وتهذبها على حب الطاعة ومعرفة أن الله غني عنا وعن عبادتنا لكننا من نحتاج إلى عبادته سبحانه ونيل رضاه وفي نفس الوقت لا تضع نفسك في موضع الحَكَم على أي إنسان فجميعنا يخطئ ويذنب ولو لم نذنب ونتب إلى الله لذهب بنا وجاء بقوم غيرنا يخطئون ويتوبون فيتوب الله عليهم.

عزيزي القارئ صحيح أن هذا زمن الشبهات وزمن تعددت فيه الفتن واختلطت فيه المفاهيم، لكن سعادتك وسلامك تبدأ من داخلك، تبدأ من قلبك وإصلاحه وجعله معلقًا بالله وطاعته، فهناك فرق بين من يصلي ليرتاح بالصلاة ويشكوا بثه وحزنه إلى الله ويطلب العون والسند منه فيحصل على مراده ومبتغاه من رضا الله سبحانه فيشعر بالسلام النفسي وسعادته التي طالما حلم بها، وآخر يصلي ليرتاح من الصلاة، لا يستويان أبدًا والفرق الوحيد هنا هو القلب، عزيزي القارئ أسعد الله قلبك برضاه والقرب منه سبحانه.

* * * * *

النمو الديني للمراهقتن واتجاهاتهم نحو مفهوم الوسطية

يرتبط الدين ونمو الشعور الديني عند المراهق بالأخلاق والنمو الخلقي والسلوك الأخلاقي والإحساس السليم بالقيم ونمو الضمير، وفي هذه المرحلة يكون للقدوة والمُثل العليا في حياة المراهق دور خطير حيث يتشكل الجانب الديني والخلقي للمراهق من خلال ما يتلقاه ويلاحظه ويتعلمه ويقلده من الآخرين المحيطين به في مجتمعه في المنزل والمدرسة والمسجد والشارع، ولذلك أكد الإسلام على خطورة دور القدوة الحسنة وتطابق أقوال وأفعال الكبار خاصة أمام أطفالهم وذلك ليحظوا لدى أبنائهم بالثقة التي تجعلهم يستمدون خلفيتهم الثقافية والدينية من والديهم وأهليهم والقائمين على تربيتهم. وعندما لا يحظى المراهق بهذه القدوة في القريبين منه فإنه يبحث عنها في الدائرة الأكبر ثم الأكبر وذلك لإشباع رغبته الدينية ولمساعدته في إعلاء غرائزه وتمكينه من السيطرة على ما يشعر به من تغيرات فسيولوجية ونفسية وجنسية تجعله في كثير من الأحيان غير راضٍ عن نفسه، وتعد خطورة بحث المراهق عن القدوة في دوائر اجتماعية أكبر تجعله عرضة للوقوع في براثن الجماعات والأفكار المتطرفة.

ذلك لأنه في هذه المرحلة العمرية يسهل التأثير عليه وتغيير اتجاهاته من النقيض إلى النقيض نتيجة لرغبته في تحمل المسئولية والثورة على سلطة الوالدين والتأثير الخطير لجماعات الأقران وتضاعف الخطورة إذا كانت وسيلته في هذا هي الفيس بوك وتويتر واليوتيوب، ومن الأمثلة الخطيرة على ذلك عدد الشباب والمراهقين الذين تم استقطابهم فكريًا ودينيًا للجماعات المتطرفة مثل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام والمعروفة إعلاميًا باسم (داعش)، ونجد في هذه المرحلة أيضًا كثرة أسئلة المراهق عما يراه أو يسمعه من الآخرين دينيًا، وهنا لا بد من الإجابة السليمة الواعية على تساؤلاتهم بما يتناسب مع سنهم ومستوى إدراكهم وذلك إلى أن ينمو الضمير والرقابة الذاتية على السلوك، ويلاحظ أن الأطفال والمراهقين المرتفعي الذكاء تكون اتجاهاتهم الدينية والأخلاقية أعلى وسلوكهم أنضج من سلوك رفاقهم الأقل منهم في درجة الذكاء، ولهذا فلا بد من دراسة مرحلة المراهقة وخاصة سمات النمو الديني لهذه المرحلة.

فللنمو الديني في مرحلة المراهقة سمات عامة هي[1]:

١) حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو "الطفولة والمراهقة"، (القاهرة: عالم الكتب، ط٤،١٩٧٧) ص٢٦١-٢٦٤.

اليقظة الدينية العامة: حيث يسود روح التأمل لدى المراهق والنشاط الديني -العبادة أو الجهاد في سبيل الله- لذلك عندما ترغب أي جماعة متطرفة في نشر فكرها تستغل هذه السمة وهذا النشاط لدى المراهق وتعمل على إشعالها في الاتجاه السلبي الذي يعتمد على الفكر المتطرف لمفهوم الجهاد بمحاربة المخالفين في الرأي.

ازدواج الشعور الديني:- يوجد لدى المراهق في هذه المرحلة شعور ديني مركب يحوي عناصر متناقضة، فمثلاً يكون لدى المراهق شعور بضرورة بر الوالدين لكن في نفس الوقت لديه الرغبة بالاستقلال عنهما والثورة على سلطتهما لتكوين شخصيته المستقلة، ويوجد الإيمان بالموت في نفس الوقت لديه شعور بكراهيته.

الحماس الديني: يحل الحماس الديني للمراهق محل الاتجاه الديني التقليدي، ونلاحظ في هذا الجانب أن سمات شخصية المراهق تؤثر على نوعية حماسه وكيف يعبر عنه، فالشخصية المنبسطة نجد أن حماسها الديني يدفعها للانضمام إلى النشاط الخارجي والاجتماعي والديني والانضمام إلى جماعات البر والإحسان، أما الشخصية المنطوية فإن صاحبها يقتنع في حماسته بالاقتصار على المستوى الشخصي والتصوف الزائد.

وقد يلجأ بعض المراهقين إلى الدين كوسيلة لإعلاء الدافع الجنسي، ويكون لدى هذه النوعية من الشخصيات حساسية مرهفة لدى أي تجاوز أو مخالفة جنسية، وقد يشعر المراهق بالذنب نتيجة انبعاث الدافع الجنسي فيتعلق بالدين ويتجه إلى الله يتضرع إليه ليعينه على غرائزه ويخلصه من عذاب نفسه حتى يتجنب العقاب الداخلي المعنوي، ونجد أن العلاقة بين تدين المراهق وبين انبعاث الدوافع الجنسية لديه نجد أنها علاقة طردية، ولفهم اتجاهات المراهقين نحو مفهوم الوسطية فلا بد من معرفة ما هي الاتجاهات وكيف تتشكل وما دور هذه الاتجاهات في تحديد سلوك المراهقين، وما مكونات ومراحل تكون هذه الاتجاهات، ولمواجهة الفكر المتطرف من تشدد وإلحاد علينا بتحصين الطفل والمراهق بالتربية الدينية الصحيحة والسليمة على أساس نفسي وشرعي منهجي، من هنا فلا بد من معرفة كيفية دعم وتشكيل اتجاهات المراهقين والعوام المؤثرة فيه حيث أن المراهق خاصة لما يتوفر فيهم من عوامل:

- الرغبة في التدين لمواجهة التغيرات الجسمانية والنفسية التي يشعر بها المراهق.
- البلوغ الجنسي والذي يدفع المراهق للشعور بالذنب فيجعل المراهق يتجه للتدين الشديد الذي قد يصل إلى التعصب في وجهة نظره وآرائه الدينية.

- التدين السطحي أو ما يسميه بعض العلماء والمفكرين بالأمية الدينية فيصبح المراهق مادة سهلة الجذب والتشكيل والتغيير.
- التمرد على سلطات الوالدين وكل من له سلطة على المراهق وعلى أسلوب النصح والإرشاد والتوجيه.
- رغبة المراهق في القيادة ونيل الاحترام والتقدير والرغبة بالمبادرة والتميز (حتى وإن كان تميزًا سلبيًا).

تعريف الاتجاه: إن للاتجاه عدة تعريفات نذكر منها: تعريف "حامد زهران"(١): الاتجاه النفسيّ الاجتماعيّ هو تكوين فرضيّ أو متغيِّر كامن أو متوسط (يقع فيما بين المثير والاستجابة)، وهو عبارة عن استعداد نفسيّ أو تهيؤ عقليّ عصبيّ متعلَّم للاستجابة الموجَبة أو السالبة (القبول أو الرفض) نحو أشخاص أو أشياء أو موضوعات أو مواقف جدلية في البيئة التي تستثير هذه الاستجابة، وهناك تعريف آخر لألبورت "Allport" الاتجاه عبارة عن استعداد عقليّ وعصبيّ عند الفرد، تُنَظِّمه خبراته السابقة بما يكفل توجيه استجاباته نحو المثيرات التي تتضمنها البيئة التي يعيش فيها(٢).

(١) حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعيّ، ط٦، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣) صـ ١٧٢.
(٢) ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨) صـ ٢٠٣.

مكوِّنات الاتجاه: إن الاتجاهات معلومات وأفكار لدى الفرد تثير مشاعره وانفعالاته فتُشكل سلوكه وتحدده، وهذه الاتجاهات تتكون من[1]: أ - المكوِّن المعرفيّ: ويَشتمل على معتقَدات الفرد وأفكاره أو تصوراته ومعلوماته عن موضوع الاتجاه.

ب- المكوِّن الوجدانيّ: ويشير إلى مشاعر الفرد وانفعالاته نحو موضوع الاتجاه.

ج - المكوِّن السلوكيّ: ويشير إلى استعداد الفرد للقيام بأفعال واستجابات معيَّنة تتفق مع اتجاهه؛ ويوضح د. "فرج الكامل" أن للاتجاهات أهمية بالغة في دراسات الاتصال، حيث إن[2]:

لكل من المُرسِل والمُستقبِل اتجاه سلبيّ أو إيجابيّ نحو الآخر.

لكل من المُرسِل والمُستقبِل اتجاه سلبيّ أو إيجابيّ نحو الموضوع الذي يدور حوله الاتصال (وسطية الإسلام).

لكل من المُرسِل والمُستقبِل اتجاهات سلبية أو إيجابية نحو الأشياء والأشخاص والمواقف الأخرى التي تَرِد في الرسالة.

الاتصال هو في الواقع محاوَلة من المُرسِل للتأثير على اتجاهات وأفكار المُستقبِل.

وبالتالي فإن دراسة طبيعة الاتجاهات وكيفية تكوينها وأسباب استمرارها وكيفية تغييرها تُعَدّ جزءًا أساسيًّا من النظرية الإعلامية.

---

(٣) عبد اللطيف محمد خليفة، عبد المنعم شحاتة محمود، سيكولوجية الاتجاهات، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت) ص١٢.

(٤) فرج الكامل: "تأثير وسائل الاتصال - الأسس النفسية والاجتماعية"، ط١ (القاهرة: دار الفكر العربيّ، ١٩٨٥م) ص ٨٧.

وظائف الاتجاه: يرى دكتور "حامد زهران"[1] ما يلي:

١- الاتجاه يُحدِّد طريق السلوك ويفسره.

٢- الاتجاه يُنظِّم العمليات الدفاعية والانفعالية والإدراكية والمعرفية حول بعض النواحي الموجودة في المجال الذي يعيش فيه الفرد.

٣- الاتجاهات تنعكس في سلوك الفرد وفي أقواله وأفعاله وتَفاعله مع الآخرين في الجماعات المختلفة وفي الثقافة التي يعيش فيها.

٤- الاتجاهات تُيَسِّر للفرد القدرة على السلوك واتخاذ قرارات في المواقف النفسية المتعددة مع شيء من الاتساق والتوحيد دون تردد أو تفكير في كل موقف كل مرة تفكيرًا مستقلاً.

٥- الاتجاهات تُبلوِر بوضوح صورة العلاقة بين الفرد وبين عالَمه الاجتماعيّ.

٦- الاتجاه يوجِّه استجابات الفرد للأشخاص والأشياء والموضوعات بطريقة تكاد تَكُون ثابتة.

٧- الاتجاه يَحمل الفرد على أن يحِس ويدرِك ويفكِّر بطريقة محدَّدة إزاء موضوعات البيئة الخارجية.

٨- الاتجاهات المعلَنة تعبِّر عن مسايَرة الفرد لما يَسُود مجتمَعه من معايير وقِيَم ومعتقدات.

(١) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٥٧، ٥٨.

خصائص الاتجاهات:

ويُمكِن أن نُجمِل عدداً من خصائص الاتجاهات النفسية والاجتماعية، حيث يرى د. "حامد زهران" أنها:

١- مكتسَبة ومتعَلَّمة وليست وراثية، وتَتكون وتَرتبط بمثيرات ومواقف اجتماعية، ويشترك عدد من الأفراد و الجماعات فيها، إذن فيمكن تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى المراهقين نحو وسطية الإسلام وسماحته وشموله لكافة الاختلافات والتعدديات الفكرية والعقائدية.

٢- تتعدد الاتجاهات وتختلف حسب المثيرات التي ترتبط بها.

٣- الاتجاه النفسي يقع دائمًا بين طرفين متقابلين أحدهما موجب والآخر سالب أي التايد المطلق والمعارض المطلق.

٤- من الاتجاهات ما يعطي قوى على مر الزمان على الرغم مما يقابل الفرد من شواهد تدعى للتخلي عنه وإسقاطه.

تصنيف الاتجاهات:

يمكن تصنيف الاتجاهات وفق عدة محددات هي:

١- الإيجابية والسلبية: فالقبول يُعَبَّر عنه بالإيجابية والرفض بالسلبية، كما أن التأييد يُعَبَّر عنه بالإيجابية، بينما المعارَضة يُعَبَّر عنها بالسلبية.

٢- عامّة ونوعية: ففي حالة الشخص الذي يَمتلك اتجاهًا عامًّا نحو الاحترام نجده يَحترم سُلطة الوالدَيْن وسُلطة الدين والسُّلطة السياسية والعسكرية.

٣- جماعيّة أو فرديّة: فقد يَكون الاتجاه جماعيًّا، بمعنى أنه يوجَد عند الكثير من الناس، مِثل اتجاه الغرب نحو القومية العربية، وقد يَكون فرديًّا مثل الإعجاب بصديق معين.

٤- سريّة أو علنيّة: فالاتجاه السِّريّ هو الذي لا يستطيع الفرد أن يُعَبِّر عن علانيته أمام الناس، أما الاتجاه العلنيّ فهو الذي لا يَجد الفرد غضاضة في التعبير عنه أمام الناس.

٥- اتجاهات ضعيفة واتجاهات قوية: في حالة الفرد الذي يَملك اتجاهًا ضعيفًا فإنه يَستنكر الموقف ولكن لا يثور ولا ينفعل، وفي حالة الفرد الذي يَملك اتجاهًا قويًا نحو أمر ما فإنه يثور وينفعل ويعبر عن اتجاهه سلوكيًا.

مراحل نمو الاتجاهات:

تَتشكل الاتجاهات وتنمو خلال مرحلتَيْن يَذكرهما د. "حسين الدريني"[1]، وهما كما يلي:

مرحلة تأثير الوالدَيْن: وتَمتد هذه المرحلة من الميلاد وحتى البلوغ، وتَتميز بأن تأثير الوالدَيْن في تشكيل اتجاهات أبنائهم يكون كبيرًا؛ والدليل على ذلك درجة التشابه بين اتجاهات الآباء والأبناء حتى ولو لم يَقصد الآباء التأثير على سلوك الأبناء، وأثناء تفاعُل الفرد مع والدَيْه تنمو لديه الاتجاهات المختلفة؛ وذلك لتقليده لهما، ومما يساعِد على اكتساب الطفل لاتجاهات والدَيْه تَوَحُّده مع أحدهما في الفترة الأولى من حياته، ومن العمليات التي تُسهِم في نمو الاتجاهات لدى الطفل الارتباط والتدعيم؛ فمثلاً يَسمع الطفل من والدَيْه أن بلده نظيفة فترتبط النظافة والجمال ببلده، وعندما يُعَبِّر عن ذلك يجد تشجيعًا من والدَيْه على ما يقول.

* * * * *

١) حسين عبد العزيز الدريني، المَدخل إلى عِلم النفس، (القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٨٣)، ص ٣٦٩.

المرحلة الحرجة في نمو الاتجاهات:

يبدأ تأثير الوالدَيْن في الضَّعف مع نمو الطفل واحتكاكه بالكثير من المؤسسات الاجتماعية والثقافية، وتمتد هذه الفترة ما بين (١٢ - ٣٠) سنة، وتُسَمَّى بالمرحلة الحرجة لتَبَلْوُر الاتجاهات وثباتها واتخاذها شكلاً جامدًا.

ويُمْكِن تقسيم هذه المرحلة الحرجة إلى مرحلتَيْن، هما مرحلة المراهقة ومرحلة الرشد وسنختص هنا بدراسة الاتجاهات في مرحلة المراهقة.

* * * * *

مرحلة المراهَقة:

وفيها تَتشكل اتجاهات المراهِق، إذ تَكُون الاتجاهات متنوِّعة غير ثابتة بدرجة كبيرة، وعندما يخطو الفرد نحو العشرين من عمره يَبدأ في إلزام نفسه بعدة التزامات؛ إذ يَكُون عليه أن يُدلي بصوته الانتخابيّ، ويَختار مهنته، ويَختار زوجه، ويُكَوِّن فلسفتة الشخصية والاجتماعية في الحياة، تلك الالتزامات تَقُوم على أساس ما لدى الفرد من اتجاهات اكتسبَها في مرحلة سابقة؛ وبالتالي فإن هذه الالتزامات تساعِد على بلورة الاتجاهات السابقة، ويُمْكِن تفسير دور الالتزام في تثبيت الاتجاهات وجمودها من خلال عدم الاتساق المعرفيّ؛ حيث إنه كلما زادت معلومات الأفراد زاد تأثيرها على اتجاهه، إلا أن بعضًا من هذه المعلومات قد تَكُون غير متسقة مع بعضها؛ مما يُوَلِّد قلقًا وتوترًا للتخلص من هذا التوتر ويُلزِم الفرد بعدة التزامات تَقُوم على أساس اتجاهاته السابقة؛ ومن هنا تَدعم هذه الاتجاهات وتَثْبت بصورة جامدة في سلوك الفرد؛ لأنها ساعدَته على التخلص من توتره الناشئ من عدم الاتساق المعرفيّ.

* * * * *

دور البرامج الدينية بالقنوات الفضائية
في التأثير على اتجاهات المراهقين نحو وسطية الإسلام

نجد أنه من الضروري التأكيد في تربية الطفل والمراهق على الأخلاق المستمدة من الدين، وذلك لأنها تنظم سلوك الفرد والجماعة وتنمي الضمير الفردي والضمير الاجتماعي، ومن هنا فلا بد من دعم دور المؤسسة الدينية في التربية وعدم تهميش المناهج الدينية وتطوير سبل التربية الدينية وتجديد الفكر الديني واستخدام أساليب متنوعة في الخطاب الديني وذلك للوصول إلى المستويات النفسية والفكرية والعاطفية المختلفة وربط الدين بالحياة وبالمعاملة بين الأفراد والجماعات في المجتمع، واستغلال قوة وتأثير الإعلام في نشر الثقافة الدينية المعتدلة ومحاربة الفكر المتطرف من مغالاة أو إلحاد.

وذلك كله من شأنه محاربة الإرهاب والتطرف والعنف الذي يعاني منه العالم الآن وبخاصة العالم الإسلامي من جماعات مثل داعش وغيرها من الجماعات التي تُسيء للدين الذي تدعي أنها تتحدث باسمه وتدمر المجتمعاًت التي تدعي أنها تنتمي إليها.

وبدراسة علم نفس نمو المراهقة ومعرفة حاجة المراهق إلى إشباع النزعة الدينية لديه نجد أن العامل المؤثر في هذه الاتجاهات هو الصورة الذهنية لدى المراهق عن صحيح الدين ووسطيته وهذه الصورة تكونت لديه من خلال التربية والتنشئة سواء في المنزل أو في المدرسة أو في المسجد، أومن خلال الصورة الإعلامية المُقدمة عن وسطية الإسلام من خلال المضمون الديني المُقدم في فقرات دينية في البرامج العامة، أو في البرامج الدينية المتخصصة سواء هذه البرامج في قنوات عامة أو في قنوات دينية متخصصة، في القنوات المصرية (حكومية أو خاصة) أو في القنوات الفضائية العربية، نجد أن سلوك المراهق يعتمد على هذه الصورة المتكونة لديه وهذه الصورة عبارة عن مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تُشكل اتجاهات المراهقين الإيجابية أو السلبية نحو وسطية الإسلام، وتؤدي هذه الاتجاهات بدورها إما إلى سلوك إيجابي يؤدي إلى الفهم الصحيح للدين والقراءة والإطلاع فيها، أو إلى سلوك سلبي يجعل المراهق عُرضة للتطرف والإرهاب، أو إلى التشكك والإلحاد، وفي كلتا الحالتين يتطور سلوكه تدريجيًا مما يجعله بعد ذلك خطرًا على نفسه ومجتمعه وعرضة لتجنيده من قِبل الجماعات المتطرفة.

وهذا ما يتحتم على مؤسسات الدولة وأفرادها مواجهته وعلاجه قبل أن يحدُث، وذلك من خلال تحليل وتفسير الصورة الإعلامية المُقدمة عن وسطية الإسلام في وسائل الإعلام المختلفة ومنها البرامج والفقرات الدينية -محل الدراسة- وكذلك تحليل وتفسير الصورة الذهنية لدى المراهقين نحو صحيح الإسلام ووسطيته، ويمكن أن نوجز عدة عوامل تؤثر على تكون الصورة الذهنية عن وسطية الإسلام لدى المراهقين وتؤثر على تكوُّن وتشكيل اتجاهاتهم نحو وسطية الإسلام. **هذه العوامل هي:**

١- **الرفاق:** يكون لجماعة الرفاق تأثيرهم الكبير أثناء فترة المراهَقة؛ فيَميل إلى تَبَنِّي قِيَم وآراء واتجاهات الجماعة التي يحبها لكي تتقبله كعضو فيها.

٢- **وسائل الإعلام:** تُؤَثِّر وسائل الإعلام في تشكيل اتجاهات المراهقِين تأثيرًا كبيرًا؛ لأنها تزودهم بالكثير من المعلومات بطرق وأساليب وصور مختلفة، وتَكُون عادةً مصحوبة بخصائص فنية جذابة، كما أن وسائل الإعلام تُعتبر مصدرًا لمنبهات مختلفة تدور حول موضوعات لاتجاهات متعددة،تُعَدّ الدعاية من أكثر الوسائل تأثيرًا في بناء الاتجاهات (مع أو ضد)، وتَفعيل المسرحيات والإذاعة والتلفاز والمطبوعات ذات الأثر في بناء الاتجاهات وفقًا لنوع الرسالة الإعلامية والهدف منها ومدى تأثيرها بالتكرار، وثقة المتلقي نحو مصدر الدعاية

٣- التعليـم: بيَّنَت الدراسات أنه كلما زاد نصيب الفرد من التعليم زادت اتجاهاته التحررية، ولما كان نصيب الأبناء من التعليم يفوق ما حصل عليه آباؤهم؛ كان من المتوقَّع أن تَكُون اتجاهات الأبناء أكثر تحرريةً من الآباء، وهذه هي أحد أبعاد الظاهرة المعروفة باسم "الفجوة بين الأجيال".

٤- التربية المقصودة: تُعَدّ عملية التربية من أهم الوسائل في بناء الاتجاهات (مع أو ضد)، ويَتحقق ذلك وفقًا لنوع التربية وأهدافها ومضمونها، فمن المؤكَّد أن فهم تاريخ وحضارة شعب ما ومساهمته في التراث الإنسانيّ يكُون عاملاً مهمًّا في بناء الاتجاهات الإيجابية نحو هذا الشعب.

٥- التربية المصاحِبة: قد يَكتسب الفرد أثناء رحلة الحياة في المنزل والمَدرسة مع الجماعات التي ينتمي إليها اتجاهات (مع أو ضد) موضوع أو فكرة أو شخص أو موقف من دون أن يُوجَّه لاكتساب هذه الاتجاهات؛ ومن هنا تَختلف التربية المقصودة عن التربية المصاحِبة؛ إذ تَقُوم الأولى بغرس اتجاهات محدودة في الأفراد المُتلَقّين لهذه التربية بأدوارها، بينما يَتم اكتساب اتجاهات ما في الحالة الثانية (التربية المصاحِبة) من دون أن يُقصَد اكتساب المُتلَقّين لها، ويُتَلَّك عن طريق القدوة أو النموذج الذي يُمثله المُرَبِّي[1].

(١) حسين عبد العزيز الدريني، المَدخل إلى عِلم النفس، مرجع سابق، صـ ٣٩: ٤٢.

٦- **قبول نقديّ للمعايير الاجتماعية عن طريق الإيحاء:** يُعتَبَر الإيحاء من أكثر العوامل شيوعًا في تكوين الاتجاهات النفسية؛ ذلك أنه كثيرًا ما يَقبل الفرد اتجاهًا ما دون أن يكون له أيّ اتصال مباشِر بالأشياء أو الموضوعات المتصلة بهذا الاتجاه، فالاتجاه أو تكوين رأي ما لا يُكتسَب؛ بل تُحدده المعايير الاجتماعية العامّة التي يَمتصها الأطفال عن آبائهم دون نقد أو تفكير، فتصبح جزءًا نمطيًّا من تقاليدهم وحضارتهم يَصعب عليهم التخلص منه، ويَلعب الإيحاء دورًا هامًّا في تكوين هذا النوع من الاتجاهات؛ فهو أحد الوسائل التي يُكتسَب بها المعايير السائدة في المجتمَع، دينية كانت أو اجتماعية أو خُلُقية أو جمالية، فإذا كانت النزعة في بلد ما ديمقراطية، فإن الأفراد فيه يَعتنقون هذا المبدأ.

٧- **تعميم الخبرات:** الإنسان دائمًا يَستعين بخبراته الماضية ويَعمل على ربطها بالحياة الحاضرة؛ فالطفل مثلاً يُدرَّب منذ صغره على الصدق وعدم الكذب أو عدم أخذ شيء ليس له أو احترام الأكبر منه عمرًا مثلاً، والطفل يُنفِّذ إرادة والدَيْه في هذه النواحي دون أن تَكُون لديه فكرة عن أسباب ذلك، ودون أن يَعلم أنه إذا خالفَ ذلك يُعتبر خائنًا وغير أمين، ولكن عندما يصل إلى درجة من النضج يدرِك الفرق بين الأعمال الأخرى التي يوصَف فاعلها بالخيانة، وحينما يَتكون لديه هذا المبدأ (أي المعيار) يستطيع أن يُعَمِّمه في حياته الخاصة والعامة.

٨- **الارتباط وإشباع الحاجات:** يؤدي الارتباط وإشباع الحاجات دورًا مهمًّا؛ فنتعلم الكثير من اتجاهاتنا وطرق تعاملنا مع البيئة، فالفرد يتعلم كيف يخاف أو يتجنب أشخاصًا أو أشياء معيَّنة لارتباطها بخبرات سيئة، كما يتعلم حب بعض الأشياء التي ترتبط بخبرات سارة، وفي كلتا الحالتين فهو يقبل أو يتجنب لأن ذلك يُشبِع حاجات نفسية أساسية له، وخير مثال لهذا النوع من تعلُّم الاتجاهات عن طريق الارتباط وإشباع الحاجات هو تعلُّم الطفل اتجاهاته نحو والديْه؛ لأنهما يُشبِعان حاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية، كما يؤدي النجاح في عملٍ ما وما يرتبط به من خبرات سارة إلى تكوين اتجاه إيجابيّ نحو هذا العمل ونحو الأشخاص أو الأشياء التي ترتبط بهذه الخبرات، وكذلك الفشل في عمل ما وما يصاحب هذا الفشل من مشاعر مؤلمة تؤدي إلى تكوين اتجاه سلبيّ ضد هذا العمل.

٩- **تمايُز الخبرة:** يكتسب الإنسان عدة اتجاهات نفسية مختلفة متمايزة عن بعضها نحو عدد من الظواهر المتباينة في مجتمع ما نتيجة لاختلاف خبراته المكتسَبة من المواقف الاجتماعية، وأيّ اتجاه يتكون عند الفرد نحو ظاهرة ما يختلف عن اتجاه الفرد النفسيّ نحو ظاهرة أخرى ويتمايز عنه في جميع خصائصه؛ فقد يكون الاتجاه عامًّا موجَبًا نحو ظاهرة معيَّنة، بينما يكون اتجاهًا عامًّا سالبًا نحو ظاهرة أخرى في نفس المجتمع الذي يعيش فيه[1].

١) ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، مرجع سابق، ص٢١٣.

١٠- حدة الخبرة: لا شك أن الخبرة التي يَصحبها انفعال حاد تساعِد على تكوين الاتجاه أكثر من الخبرة التي يصحبها مِثل هذا الانفعال، فالانفعال الحاد يُعمِّق الخبرة ويجعلها أعمق أثرًا في نفس الفرد وأكثر ارتباطًا بنزوعه وسلوكه في المواقف الاجتماعية المرتبطة بمحتوى هذه الخبرة، وبهذا تَتكون العاطفة عند الفرد وتصبح ذات تأثير على أحكامه ومعاييره.

من خلال ذلك نجد أنه لعلاج السلوك المتطرف الذي يميل إلى العنف لدى الشباب والمراهقين لا بد من علاج أسبابه ودوافعه، وذلك من خلال إعادة تكوين الصورة الذهنية الصحيحة عن الإسلام وذلك بعلاج القصور في الصورة الإعلامية المُقدمة في المضمون الديني بالفضائيات الدينية المتخصصة أو العامة، المصرية منها أو العربية، الحكومية والخاصة، وبذلك تتضاعف مسئولية الإعلام الديني بشكل عام والقنوات الفضائية الدينية بشكل خاص في علاج التطرف ومواجهته فكريًا قبل أن يستفحل خطره ويرفع المتطرفون السلاح ويهددون أمن المجتمع المسلم وغير المسلم فتواجهه الدولة مواجهة مُسلحة، فالوقاية خيرٌ من العلاج، ووقاية المجتمع من المتطرفين ومواجهة فكرهم بفكر يهدمه أولى وخير من إهمال في مواجته يؤدي إلى سفك دماء أبرياء.

* * * * *

خاتمة وتوصيات

خلق الإنسان من مادة (التراب) ونفخة من روح، والدين هو وسيلة التوفيق بين الاثنين وتحقيق سعادة الإنسان، لذلك لا بد من دعم كل الجهود الإعلامية والتربوية والاجتماعية للوصول بالإنسان إلى السعادة المنشودة، وذلك من خلال تعليم الأطفال والمراهقين تربية دينية صحيحة مبنية على فهم صحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حتى لا نتركهم فريسة للاتجاهات المتطرفة والمغرضة، وذلك بتعليمهم أن وسطية الإسلام تعني صحيح الإسلام ولا تعني التهاون في الأحكام والعقائد وليست تحديثا للدين ليواكب العصر، وإنما إزالة كل لبس أو فهم خاطئ لهذا الدين، بالإضافة إلى ذلك لا بد من:

١- دعم الجهود العلمية والبحثية بتبسيط نتائج هذه البحوث وتقديمها لجمهور القراء في شكل كتب وكتيبات بحيث تقدم المعرفة العلمية والمفاهيم الدينية بشكل واضح وبسيط للقراء بشكل عام.

٢- تفعيل بحوث الرأي ونسب المشاهدة التي يجريها التليفزيون والقنوات التليفزيونية للوقوف على رأي الأطفال والمراهقين فيما يُقدم لهم من مضمون ديني وكيفية تقديم هذا المضمون، وكذلك تفعيل وسائل التغذية العكسية بين البرامج الدينية والجمهور المُقدمة له هذه البرامج.

٣- عمل حملات توعية تدحض كل مزاعم المتطرفين وذلك من خلال ندوات ومناقشات في المدارس والنوادي والمساجد، ومن خلال المطبوعات المختلفة، وكذلك من خلال مواد مسموعة ومرئية تُبث بشكل يومي في كل وسائل الإعلام (إذاعة، تليفزيون، مواقع اليوتيوب) والتنويه عنها في وسائل التواصل الاجتماعي وذلك للوصول لأكبر شريحة من الأطفال والمراهقين والذين هم الهدف الأول للجماعات المتطرفة.

٤- إعادة نشر الكتب التي ترد على مزاعم المستشرقين والمُلحدين وإتاحة هذه الكتب للجمهور بكل السُبل الممكنة.

٥- لابد من إعادة النظر في تقصير وزارة التربية والتعليم في دورها الديني والتربوي وإعادة الاهتمام بمنهج التربية الدينية في المدراس، وذلك لأن تهميش الدين خلق فجوة معرفية وثقافية لدى الطفل والمراهق مما يؤدي إلى سهولة التأثير عليهم من قبل المتطرفين، فالاهتمام بالتربية الدينية وتدريسها بطريقة صحيحة لا يدعم التعصب الديني ضد الأديان الأخرى، بل على العكس تماماً يخلق مساحة من التفاهم المشترك بين أصحاب الديانات السماوية السابقة، ويؤدي إلى حالة من الفهم الصحيح للدين.
وتدريس التفسير الصحيح للآيات والأحاديث التي يستخدمها المتطرفون في دعايتهم للترويج لفكرهم تحت راية الإسلام بتأويل خاطئ ومغلوط بدلاً من حذف هذه الآيات والأحاديث من المناهج والمقررات الدراسية.

٦- من الضروري أن يصدر تشريع إعلامي يحدد فيه عقوبات رادعة ضد كل من ينشر الفكر المتطرف من مقدمي البرامج الدينية سواء كان ذلك بأسلوب مباشر أو بأسلوب ضمني.

* * * * *

بحوث مستقبلية

من خلال البحث والدراسة تقترح الباحثة عددًا من البحوث هي:

١- دور مواقع التواصل الاجتماعي واليوتيوب في نشر الأفكار المتطرفة بتحليل مضمون الفيديوهات التي تبثها هذه الجماعات على قنوات اليوتيوب.

٢- ما تأثير سياسات القنوات الدينية الخاصة على المضمون الديني المقدم في برامجهم وعلاقة ذلك التأثير باتجاهات المراهقين نحو الانتماء للوطن؟

٣- دراسة العلاقة بين الهوية الدينية والهوية السياسية للمراهقين

٤- دراسة أسباب اعتناق الفكر المتطرف لدى عينة ممن قاموا بعمليات إرجاف في الدول العربية.

٥- دراسة حالة للعابرين بين التطرف والإلحاد لمعرفة أوجه القصور في التربية الدينية للنشء.

٦- تحديد دور استخدام العنف على اتجاهات المراهقين نحو فهم ماهية وسطية الإسلام.

* * * * *

الفهرس

مقدمة ٧

الفصل الأول: ماهية وسطية الإسلام ٩

تمهيد ١٠

مفهوم وسطية الإسلام ١٢

مظاهر وسطية الإسلام ١٨

الوسطية أحد خصائص التشريع الإسلامي ٣١

أبعاد وسطية الإسلام ٥٢

بعض القضايا التي تظهر فيها وسطية الإسلام ٦٤

الفصل الثاني: وسطية الإسلام على منابر الإعلام ٨٩

تمهيد ٩٠

وسطية الإسلام على منابر الإعلام ٩٥

الفرق بين الدعوة والدعاية ٩٨

المسئولية الإعلامية فرض عين على كل مسلم ١٠١

خصائص الإعلام الإسلامي ١٠٣

القنوات الدينية المتخصصة ١١٠

البرامج الدينية بالفضائيات وعلاقتها بمفهوم الوسطية ١١١

أهداف البرامج الدينية ١١٧

المعوقات التي تعيق قيام البرامج الدينية بدورها ١١٩

البرامج الدينية ١٢٣

صورة وسطية الإسلام المقدمة في البرامج ١٣٢

الفصل الثالث: وسطية الإسلام طريقك بين التطرف والإلحاد ١٧٥
تمهيد ١٧٦
وسطية الإسلام طريقك بين التطرف والإلحاد ١٧٨
أسباب انتشار الاتجاهات الفكرية المتناقضة دينيًا ١٨١
قصص العابرين من التطرف للإلحاد ١٨٣
كيف نواجه النقيضين: التطرف والإلحاد ١٨٥
البحث عن السعادة المفقودة ١٨٨
النمو الديني للمراهقين ١٩٠
خاتمة وتوصيات ٢٠٩
بحوث مستقبلية ٢١٢

دار إضافة
للنشر والتوزيع
الإسكندرية
ج . م . ع

www.Idafabooks.com